ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

المجلد السادس العدد الحادي عشر. رمضان وشوال ١٤١٤ هـ
مارس (آذار) ١٩٩٤ م

معجـــزة فـــلكية

نبوءة عظمى لسيدنا محمد المصطفى ﷺ
تحققت عام ١٨٩٤

البحث عن مسيح الإسلام

الفـرصـة الذهبـيـة

الفتاوى السياحية !

بسم الله الرحمن الرحيم

التقوى

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الإسلامية الاحمدية

مدير الإدارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الاسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
اسلام اباد ـ بريطانيا

المجلد السادس العدد الحادى عشر، رمضان وشوال ١٤١٤ هـ
مارس (آذار) ١٩٩٤ م

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
من جوامع الكلم وكلام الإمام	٨
معجزة فلكية	٩
البحث عن مسيح الإسلام	١٩
الملامح البارزة للجماعة الإسلامية الأحمدية	٢٢
الفرصة الذهبية	٢٥
الفتاوى السياحية	٣١

ثمن النسخة : جنيه ونصف ٤٫٥ والاشتراك السنوي ٤٨ او ما يعادل ذلك
خارج بريطانيا. ترسل قيمة الإشتراك باسم التقوى الى عنوان المجلة

الافتتاحية

إن دراسة واعية لأحاديث النبي ﷺ تبين أن الله تعالى كشف له ما سيأتى على أمته من رقي وانحطاط في مراحل مختلفة وكأنه فيلم.. وبناءً على ذلك حذّر المصطفى ﷺ من كل الفتن وخاصة التى ستحيط بأمته في آخر الزمان. ولكنه إلى جانب ذلك بشَّر أمته بمن يخلصها من هذه المآزق والفتن، وسماه حينا مهديًا وحينا آخر عيسى بن مريم، وذكر له علامات كثيرة منها قوله ﷺ:

«إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض. ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه. ولم تكونا منذ خلقَ الله السماوات والأرض» (سنن الدارقطنى، باب صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما).

وقبل أكثر من قرن من الزمان عندما شاهد المسلمون تحقق كثير من علامات هذا الموعود اشتد انتظارهم له، وعندما ظهر هذا الإمام في شخصية سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام، صدقه البعض ومعظمهم رفضوه، وقال له علماؤهم من على المنابر إن من علامات المهدي كما قال الرسول ﷺ خسوف القمر وكسوف الشمس، فلن نؤمن لك حتى تَظهر هذه الآية، واستمروا في الرفض والجحود والمطالبة حتى أظهر الله تعالى برحمته هذه الآية سنة ١٨٩٤ م. ولكنهم لسوء حظهم وعداوتهم لسيدنا المهدي أصروا على الإنكار مصداقا لقوله تعالى: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾.

ونتيجة لرفض العلماء له رفضته العامة بطبيعة الحال.

إن هذه المعجزة قد تحققت ولن يضرها رفضهم أو قبولهم لها، ولكن عليهم أن يدركوا:

(١) أن هذا كان نبأ للرسول ﷺ وليس لمؤسس الأحمدية. إنها معجزة لسيدنا المصطفى ﷺ وظهرت تصديقا لمهدي أمته. ومن ينكر معجزة للمصطفى ﷺ فليعرف مقعده عند الله.

(٢) بسبب هذه المعجزات المستمرة في أمة الإسلام يسمى الإسلام دينًا حيا ونبيه نبيا حيا. إنها هي الميزة التى تفرق بين الإسلام وغيره من الديانات.

(٣) أن هذه هي الوصفة التى وصفها المصطفى ﷺ لأمته ولن يجديهم دواء آخر، بل وأثبت تاريخهم منذ حوالي قرن من الزمن أن كل محاولة منهم -العلماء والمشائخ والساسة- للخروج من حضيض المذلة قد زادتهم ذلة وانحطاطا.

إنكم يا معشر الإخوان عندما لا تجدون دواء ما ناجعا لا طبيبا ما ناجحا في علاج مرضكم المادي تجربون دواءً آخر وتهرعون إلى طبيب آخر، فما لكم لا تستخدمون نفس الذكاء في أمور دينكم وهو أولى وأفضل وأبقى. أليس منكم رجل رشيد ؟! (المحرر)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

في عالم التفسير

لحضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات:

هُزُوًا: هزأ به ومنه: سخر (الأقرب). أتتخذنا هزوا: أتجعلنا هدفا للاستهزاء؟

الجاهلين: الجهل فعل الشيء بخلاف ما حقُّه أن يُفعل (المفردات).

التفسير:

كان بنو إسرائيل يعيشون في مصر، وكان المصريون يعظمون البقرة كثيرا، لذلك استولت عظمتها على قلوب بني إسرائيل أيضا. وكذلك يتبين مما سبق في هذه السورة (الآية ٥٢)، ومما جاء في التوراة (خروج ٣٢) أن بني إسرائيل عندما اتخذوا الصنم إلها كان على صورة العجل، مما يدل على أن تعظيم البقرة في قلوبهم وصل إلى حد تأليهها. ولما كان الهدف الأساسي للأنبياء القضاء على الشرك وإظهار جلال الإله الواحد الأحد، الخالق المالك لكل مخلوق.. فكان ضروريا أن تتضمن شريعة موسى من التعاليم ما يستأصل من قلوب بني إسرائيل تعظيم البقرة، ولولا ذلك لمالوا بعد مدة إلى عبادتها كرة أخرى. ولذلك أمرت شريعة موسى في عدة مناسبات بذبح البقر. ومن الواضح أن الذين يذبحون حيوانا مرة بعد أخرى لا يمكن أن يخلعوا عليه صفات الألوهية.

تشير هذه الآية أن موسى عليه السلام أمر قومه مرة بذبح بقرة، فأرادوا مماطلته، ولكنهم في النهاية اضطروا كارهين إلى الامتثال بأمره. وذكر الله تعالى هنا نكرانا آخر للجميل ارتكبه بنو إسرائيل. فبعد عبادة العجل وتلقِّي عقوبات شديدة، وبعد توبة وخجل.. لم يكن متوقعا من هذا الجيل نفسه أن يسقطوا في وحلة الشرك مرة أخرى، ولكنهم لم يتخذوا من كل ذلك عبرة، بل مالوا إلى الشرك. ويبدو أنه، لسوء حظهم، وُلد عندهم عجل جميل بشكل غير عادي.. كان يشبه العجل الذى يعبده المصريون، فهفت قلوبهم إلى تعظيمه. فأمر الله موسى أن يقيم سنَّة ذبح البقر لكي يقتلع من قلوبهم هذه الميول الشركية. ولما كاد المريب يقول خذوني، فقد أحسوا أن هذا الأمر يخص عجلهم الجميل المحبوب، وتداولوا فيما بينهم حول هذا الأمر، وبدلا من أن يبادروا إلى ذبح أي بقرة حتى يتم تنفيذ الإمر الإلهي بدون هتك سترهم، انهالوا على موسى بوابل من الأسئلة حول صفات وعلامات تلك البقرة، ظنًا منهم أن الله تعالى يريد بقرة خاصة. وكانت نتيجة هذا النقاش أن

الله تعالى أعطاهم علامات دقيقة تنطبق على عجلهم الجميل الذى بدأ تعظيمه يتولد في قلوبهم. فاضطروا آخر الأمر إلى ذبحه، ووقفوا موقف الخجل والإحراج.

ويدلنا تاريخ المصريين القديم أنهم عبدوا حيوانات كثيرة، ولكن أهمها العجل الذى كانوا يختارونه بمواصفات خاصة، ويقيمون له التماثيل، وشيدوا له المعابد، ووضعوا صوره على جدرانها.ومن هذه العجول «عجل أبيس». اتخذوا يوم ميلاده عطلة وعيدا ويوم وفاته مأتما وحزنا. وكانوا يحنطونه ويدفنونه في مقابر خاصة، ويبحثون بعده عن عجل مثله. وكانوا يعتبرونه مظهرا لإله الشمس. وكانوا لا يجيزون أكل هذه الحيوانات. وقد استمرت هذه العادة فيهم إلى زمن رعمسيس الثاني أيضا.

(New Standard Dictionary & Encyclopedea of Religions& Ethics, The Nile & Egyptian Civilisation by A. Moret).

وكان بنو إسرائيل متأثرين بهذه العقائد المصرية، وعندما رأوا هذا العجل الجميل الذى تميز بمواصفات خاصة مالوا إلى الشرك.

لقد اختار القرآن كلمة «بقرة»، ولكنها تستعمل للمؤنث والمذكر. ولا تذكر التوارة هذا الحادث بمثل تفصيل القرآن له، ولكن كما سبق أن ذكرت أن ذكر حادث تاريخي في التوراة أو عدمه لا يعنى شيئا إزاء كتاب سماوي محفوظ. ومع ذلك فقد جاء في التوراة ذكر تضحية عجل بعلامات كالتي ذكرت في القرآن حيث قيل إن الله تعالى قال لموسى: «كلّم بنى إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يَعْلُ عليها نِيْرٌ. فتعطوها لألعازار الكاهن فتُخرَج إلى خارج المحلة وتذبح قدّامه. ويأخذ ألعازار الكاهن من دمها بأصبعه، وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وتحرق البقرة أمام عينيه.. يحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها. ويأخذ الكاهن خشب أرْز وزُوفا وقرمزا ويطرحهن في وسط حريق البقرة. ثم يغسل الكاهن ثيابه، ويرحض جسده بماء، وبعد ذلك يدخل المحلة، ويكون الكاهن نجسا إلى المساء. والذى أحرقها يغسل ثيابه بماء، ويرحض جسده بماء، ويكون نجسا إلى المساء. ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلة في مكان طاهر. فتكون لجماعة بني إسرائيل في حفظٍ ماء نجاسة. إنها ذبيحة خطية» (عدد ١٩: ٢ إلى ٩).

لا تذكر هذه العبارة ما دار بين موسى وبينهم من أسئلة وأجوبة كما ذكر القرآن، ولكن يدرك الإنسان بتأمل قليل أن التوراة ذكر هذا الحادث كحادث عادي. والحكمة في ذبح مثل هذه البقرة هي إزالة الشرك من قلوب بني إسرائيل، ووقايتهم من تأثير الأمم الأخرى، وربما لهذه الحكمة سُمِّي الماء الذى خُلط به دماء البقرة ماء نجاسة.. أي غُسل به نجاسة الشرك وحُفظوا منه. فلو أنهم استمروا في ذبح مثل هذه العجول والبقر التى كان يعبدها المصريون لزال من قلوبهم نجس الشرك.

لقد جاء في كتب الحديث اليهودية هذا الحادث بتفصيل أكثر مما جاء في التوراة. فقد ورد في «مثنا» باب كامل عن الحادث. ووردت رواية عن الربّى(نسيس)أنه لم يوجد بعد موسى عليه السلام بقرة بتلك المواصفات (موسوعة الكتاب المقدس). وفي هذا البيان من أحاديث اليهود تصديق كامل لما ورد في القرآن من أن الله تعالى أمرهم بذبح بقرة خاصة تتميز بجمال غير عادي وبعلامات معينة

لا تتوافر في كل الأزمنة.

قوله تعالى [قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين] إشارة إلى أن الاستهزاء والسخرية في أمور الدين من شأن الجهال. والأسف أن الكثير من الناس لم يفهموا هذه الحقيقة، فتقسو قلوبهم بالضحك من أمور الدين وعدم الجدية فيها.

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات:

فارض: فَرُضَت البقرةُ: كبرت وطعنت في السن. لا فارضٌ ولا بِكر: لا مُسنة ولا فتية (الأقرب).

بِكر: البقرة الفتية (الأقرب). وبكر في قوله تعالى: [لا فارض ولا بكر].. هي التى لم تلد» (المفردات).

عَوانٌ: النَصَف. أي الشابة المكتملة الشباب (الأقرب).

التفسير:

أمرهم الله تعالى بذبح بقرة أيةً كانت، فبدأ اليهود يسألون عن علاماتها، لأن قلبهم كان يخشى على عجلهم المحبوب. فقال الله تعالى إنها: [لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك. فافعلوا ما تؤمرون*].. أي لا تعرضوا أنفسكم للإحراج والإذلال بكثرة السؤال. لكن اليهود لم يمتنعوا.

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات:

صفراء فاقع: فَقع لونه: اشتدت صفرته. الفاقع: الخالص الصفرة؛ الخالص الصافي من الألوان أي لون كان. والمشهور أنه صفة للأصفر (الأقرب).

التفسير:

رغم الإشارة الإلهية بأننا نستر عليكم فلا تهتكوا ستركم بالأسئلة فلم تنفكوا عنها بل مضيتم تسألون. فقلنا إنها بقراء صفراء فاقع لونها تسر الناظرين.

لقد وصفت التوارة البقرة بأنها حمراء بينما يصفها القرآن بأنها صفراء. وإذا اعتبرنا هذا خلافا فقد سبق القول بأن القرآن، وهو الوحي السماوي المحفوظ. هو الأحق بالاعتبار عند الاختلاف مع التوراة لأنها غير محفوظة من التحريف. ولكني لا أراه اختلافًا لأن بعض الألوان متشابهة وتوصف من مختلف الزوايا بأسماء مختلفة، واللون الأصفر الفاقع من تلك الألوان. فمِن ناظرٍ يسميه أصفر، وآخر يسميه أحمر. فلو وضعنا الزعفران أمام أشخاص لاختلفوا في تسمية لونه ولقال البعض إنه أصفر، وقال الآخرون إنه أحمر. ويبدو أن لون تلك البقرة كان يسمى عند اليهود أحمر وعند العرب أصفر. ولما كان القرآن بالعربية سُمِّي ذلك اللون أصفر.

قوله تعالى [تسر الناظرين]. من قواعد اللغة العربية جواز استعمال فعلٍ للمضاف بحسب المضاف إليه تذكيرًا وتأنيثا. ولما كانت كلمة (لون) مضافة إلى الضمير (ها) العائد إلى البقرة.. جاء الفعل (تسر) بصيغة التأنيث بحسب الضمير (ها)، وقال: تسر الناظرين؛ والمعنى: يسر لون البقرة الناظرين.

ويجوز أن يكون الضمير عائدا بالمعنى، أي: تسر صفرتها الناظرين، لأن المراد باللون الصفرة.

ويجوز أيضا أن يكون الضمير عائدا إلى البقرة، أي البقرة تسر الناظرين، فالجملة صفة أخرى للبقرة.

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧١﴾

شرح الكلمات:

تشابه: تشابه الرجلان: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا (الأقرب).

التفسير:

لم يتوقف اليهود عن السؤال، وطلبوا علامات أخرى للبقرة. ولما كانوا يشكون أن الله تعالى يريد بقرتهم المعظمة، قرروا في نفوسهم أنهم إذا أمروا بذبحها فسيذبحون، ولذلك قالوا: [وإنا إن شاء الله لمهتدون].

قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات:

مسلمة: سلّمه الله من الآفة: وقاه إياها (الأقرب). فمعنى مسلمةٌ أنها سليمة من المرض

والعيوب.

شِيَة: وشيت الشيء وشيًا: جعلت فيه أثرًا يخالف معظم لونه (المفردات). شيةٌ: كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره (الأقرب). فمعنى [لاشية فيها] أنها ذات لون واحد لم يخلطه لون آخر.

التفسير:

قال الله تعالى: إن هذا العجل لم يستخدم للحراثة ولا للسقي.. أي مُعفًى من العمل تعظيما له وتكريما، ولا يؤذيه أحد ولذلك ليس به أثر لجرح أوضرب. وهذا وصف للثيران التى يعظمها الناس تعظيما عقائديا. وهكذا بين الله تعالى كل علامات ذلك العجل المحبوب عندهم. فقالوا: الآن جئت بالحق، أي لقد صدق حدسنا بأن الله يقصد هذا العجل. والواقع أن قول الله تعالى كان حقا من قبل ومن بعد. كان الله يريد أن يروج فيهم ذبح البقر دون أن يهتك سترهم، وأن يذوب هذا الشرك من قلوبهم شيئا فشيئا حتى يزول. ثم بيّن أنهم ذبحوها كارهين.

وقولهم [الآن جئت بالحق] بعد سلسلة من أسئلة لا داعي لها لدليلٌ واضح على أن أفكار الشرك بصدد عجل معين كانت قد تولدت في نفوسهم. ثم إن اتخاذهم العجل إلهًا عند ذهاب موسى إلى الجبل دليل آخر يؤكد ذلك. ومن الثابت في تاريخ المصريين أنهم كانوا يعبدون العجل الحي ويعبدون تمثاله أيضا. وكذلك بنو إسرائيل عبدوا العجل تمثالا ثم أضمروا عبادته حيا.

ثم إن لون العجل أيضا دليل على تأليههم العجل، لأن التمثال الذى صنعوه كان من ذهب أصفر، وإن كلمة صفراء التى أطلقت على لون البقرة تستخدم أيضا للذهب. وتاريخ المصريين القدامى يخبر أنهم اعتبروا العجل مظهرا لإله الشمس وهى صفراء اللون كذلك. وهذا دليل آخر على أن لون **العجل كان أصفر، وأن اليهود اعتبروه مظهرا لإله الشمس. ولو صح هذا القياس لأدركنا بسهولة أن لون البقرة كما ذكره القرآن أنسب من اللون الأحمر الذى جاء في التوراة.**

وقوله تعالى [وما كادوا يفعلون] أي كادوا لا يذبحون ذلك العجل لشدة حبهم له.. لأنهم تحت تأثير المصريين ظنوا أنه متصف بقدر من الألوهية.

ما أكثر أحكام الله تعالى حكمة! لقد أباح الله تعالى للمسلمين ذبح البقرة كغيرها من الماشية للقضاء على الشرك المتعلق بها والموجود في بعض بلاد العالم حتى اليوم. وللأسف أن بعض المسلمين في البلاد التى تقدس فيها البقرة، كالهند مثلا، يبدون على استعداد للتخلي عن هذا الحق المشروع بدون أي نفع دينى، وهناك غيرهم الذين يخرجون بهذه الحيوانات المعدة للذبح في احتفال يجرح شعور جيرانهم من أتباع دين آخر. وكلا العملين باطل غير جائز. على المؤمن إصلاح نفسه، ولا يجوز له إيذاء جاره. ما أنصف ما قدمه مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية من اقتراح إلى الجيران من أتباع الديانات الأخرى كالهندوس.. يقول في كتابه «رسالة صلح» بأننا نعتبر صلحاء الهندوس «كرشنا» و «رام شندرجى» من أنبياء الله تعالى بحسب تعاليم القرآن الكريم. ولو أن الهندوس احترموا رسولنا محمدا لضحينا لهم مقابل ذلك وامتنعنا عن ذبح البقر في بلادهم. ولكن الأسف أن الهندوس لم يقبلوا هذا العرض المنصف.

جـــوامع الكلـــم

عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : «لتتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَن قبلكم .. شِبرًا بشبرٍ وذراعا بذراعٍ حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعتموهم. قيل: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» (متفق عليه). (مشكاة المصابيح، كتاب الرقاق، باب تغير الناس).

عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه.. مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى.. علماؤهم شر من تحت أديم السماء.. من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود». (مشكاة المصابيح، كتاب العلم).

- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أدركَ منكم عيسى ابنَ مريم فَلْيُقْرِئْهُ مني السلامَ». (الدر المنثور).
- عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « فإذا رأيتموه فبايعُوه.. ولو حَبوًا على الثلج؛ فإنه خليفةُ الله المهديّ». (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن).
- عن محمد بن علي رضي الله عنه قال: «إنَّ لمهدينا آيتين.. لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض.. ينكسف القمر لأول ليلةٍ من رمضان، وينكسف الشمس في النصف منه.. ولم تكونا منذ خَلَقَ الله السماواتِ والأرض». (سنن الدارقطني، باب صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما).

كـــلام الإمـــام (حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام)

الحمد لله الذى أجزل لنا طَوله، وأنجز وعده، وأتم قوله، وأرى بعض الآيات، وأفحم المنكرين والمنكرات. فأردت أن أُظهر سناه، لمن أَمَّ مسالك هداه. ولم أخلُ يأتيني نصر الله الكريم، وعون الله الرحيم، إلى أن ظهرت آية الخسوف والكسوف، من الله الرحمٰن الرؤوف، فألقي في روعى أن أؤلف رسالة في هذا الباب.. هداية للطلاب..

أما بعد، فاعلموا يا معشر الإخوان وصفوة الخلان أن أيام الله قد قربت، وكلمات الله تجلت وبدت، وظهرت الآيتان المتظاهرتان، وانخسف النيِّران في رمضان، وجاء الماء لإطفاء النيران. فطوبى لكم يا معشر المسلمين، وبشرى لكم يا طوائف المؤمنين.

وأما تفصيل الكلام، في هذا المقام، فاعلموا يا أهل الإسلام، وأتباع خير الأنام، أن الآية التى كنتم توعدون في كتاب الله العلام، وتبشَّرون من سيد الرسل نور الله مزيل الظلام.. أعني خسوف النيِّرين في شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن قد ظهرت في بلادنا بفضل الله المنان، وقد انخسف القمر والشمس وظهرت الآيتان، فاشكروا الله وخروا له ساجدين.

وإنكم عرفتم أن الله تعالى قد أخبر عن هذا النبأ العظيم في كتابه الكريم وقال للتعليم والتفهيم ﴿فإذا برق البصرُ وخسف القمر وجُمع الشمس والقمر يقول الإنسان أين المفر﴾. فتفكروا في هذه الآية بقلب أسلم وأطهر....

(نور الحق.. الجزء الثاني)

معجـــزة فـــلكية

نبوءة عظمى لسيدنا محمد المصطفى ﷺ تحققت عام ١٨٩٤

بقلم: مصطفى ثابت

إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله العظمى، سخرهما الله تعالى للإنسان ليكونا سبباً في قوام حياته وتنظيم أمور معيشته، فبدون الشمس تستحيل الحياة على الأرض، وبدون القمر لم يكن الإنسان ليستطيع أن يُقدّر حساب الشهور والسنين. يقول تعالى:

﴿وجعلنا الليلَ والنهارَ ءايتين فمحَونا آيةَ الليلِ وجعلنا آيةَ النهار مبصرةً لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ. وكلَّ شيءٍ فصَّلناه تفصيلا﴾ (الإسراء: ١٢)

وقد جعل سبحانه وتعالى لكل من الشمس والقمر مسارًا خاصًا لا يتغير ولا يتبدل لكيلا يسبق الليل النهار، ولا يجتمع القمر مع الشمس في الظهور نهارا دون الليل، فيختل النظام وتضيع الحكمة من وجود كل منهما واختصاص أحدهما بالنهار والآخر بالليل. يقول تعالى:

﴿لا الشمسُ ينبغي لها أن تدركَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحون﴾ (يٰس: ٣٧)

ولإثبات صحة هذه الآية القرآنية، نرى أن الأرض تدور في فلك يرتبط ارتباط دقيقا بفلك كل من الشمس والقمر، وبسبب ذلك يحدث أن يقع الثلاثة في مستوى واحد على استقامة واحدة كأن خطًا مستقيما قد امتد ليمر بثلاثتها. وفي هذه الحالة تحدث الظاهرة المعروفة بالكسوف والخسوف. فأثناء دوران القمر حول الأرض، يحدث أن تقع الأرض بين القمر والشمس، فيسقط ظل الأرض على القمر يحجب نور الشمس عن القمر، وتحدث ظاهرة كسوف القمر. وهذا لا يحدث إلا حينما يكون القمر بدرًا متكاملاً، أي أن كسوف القمر يقع حول منتصف الشهر القمري أو العربي.. أي في الليلة الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة. وإذا توسط القمر ما بين الأرض والشمس فإنه يمنع نور الشمس عن الوصول إلى الأرض، فتحدث ظاهرة كسوف الشمس. ولا تحدث هذه الظاهرة إلا في أواخر الشهر العربي أي في اليوم السابع والعشرين أو الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين.

وعلى ذلك فإن كسوف الشمس والقمر يحدث نتيجة للقوانين الطبيعية التي خلقها الله تعالى، وهي بلا شك تفصح عن عظمة الخالق وقدرته التي لا حد لها، غير أنها لا تتعدى كونها ظواهر طبيعية تقع من حين لآخر لتلفت نظر الإنسان إلى قدرة الخالق الذي خلق هذه الأجرام وسخرها لتكون سببًا في استمرار حياة الإنسان.

وقد جاء ذكر وقوع كسوف الشمس والقمر في كثير من الأديان كعلامة مصاحبة لظهور مصلح عظيم في آخر الزمان. وفيما يلي سوف نتناول بالبحث ما جاء ذكره في الديانتين النصرانية والإسلامية.

كسوف الشمس والقمر في الكتاب المقدس

جاء في الكتاب المقدس في معرض الحديث عن آخر الزمن أن كسوف الشمس والقمر سوف يحدث كعلامة من علامات مجيء المسيح. فقد جاء في إنجيل مرقس:

«سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات وعجائب لكي يضلّوا لو أمكن المختارين أيضًا. فانظروا أنتم، ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء. وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه ونجوم السماء تتساقط». (إصحاح ١٣ : ٢٢-٢٥)

كذلك جاء في إنجيل متّى:

«وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماء تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء». (اصحاح ٢٤ : ٢٩-٣٠)

وينبغي ألا تؤخذ الكلمات التي جاءت في وصف إظلام

الشمس والقمر بحرفيتها.. لأن حدوث هذا يؤدي إلى انتهاء الحياة على الأرض. فهي إذن تشير إلى وقوع كسوف للشمس والقمر، وأن تلك هي «علامة ابن الإنسان في السماء» أي أنها العلامة التي تدل على ظهور المسيح المشار إليه بلفظ «ابن الإنسان».

ولم يستطع المسيح عليه السلام أن يحدد اليوم أو الساعة التي تقع فيها تلك الآيات إذ قال:

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماء إلا أبي وحده». (إنجيل متّى، إصحاح ٢٤: ٢٦)

ولكن بعده بعدة قرون ظهر سيد البشر وخاتم النبيين ﷺ، فأوحى الله إليه وأخبره عن اليوم الذي تقع فيه تلك الآية كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله.

كسوف الشمس والقمر حسب القرآن الكريم

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز بعض علامات آخر الزمان.. وإحياء الإسلام وقيامه إلى دور القيادة مرة أخرى.. وذكر من بينها كسوف الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿يسأل أيان يوم القيامة• فإذا برق البصرُ• وخسف القمرُ• وجُمع الشمس والقمرُ• يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ (القيامة: ٧-١٠).

ويشير قوله تعالى: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ إلى اجتماع خسوف الشمس والقمر. وقد أوضح رسول الله ﷺ اجتماع الشمس والقمر في نبوءة عظمى حدد فيها اليوم الذي يقع فيه كسوف كل من الشمس والقمر.

خسوف الشمس والقمر حسب الحديث الشريف

تحدث رسول الله ﷺ فذكر أن إماما عظيما باسم الإمام المهدي سوف يظهر في آخر الزمان، وذكر عنه أنه سوف «يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا». ويُفهم من أقوال الرسول ﷺ التى جاءت في أحاديث متفرقة أن هذا الإمام يشابه المسيح عيسى بن مريم حتى أنه قد سُمي باسمه في بعض الأحاديث وذلك لشدة التطابق بين الشخصيتين، فصار الإمام المهدي معروفًا أيضا باسم المسيح الموعود.

ففي سن الدارقطني، أحد كتب الحديث المعروفة، لصاحبه العالم الحافظ المشهور.. علي بن عمر البغدادي الدارقطني، الذي ولد وعاش في القرن الرابع الهجري، جاء الحديث التالي رواية عن الإمام الباقر محمد بن علي رضي الله عنه. وفي هذا الحديث يحدد رسول الله ﷺ النبوءة العظمى التي تتعلق بظهور الإمام المهدي في آخر الزمان، ويعيّن بدقةٍ الموعد الذي تقع فيه تلك المعجزة الفلكية، فيقول:

«إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه». (سنن الدارقطنى، باب صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما)

فالحديث يذكر وقوع كسوف للشمس وآخر للقمر في شهر معين هو شهر رمضان. والمعروف - كما بينا آنفا - أن كسوف القمر يقع عند منتصف الشهر القمري، أي في إحدى الليالي ١٣ ، ١٤ ، ١٥ . وبحسب الحديث المذكور، يقع كسوف القمر في أول ليلة من ليالي كسوف القمر من شهر رمضان أي ليلة ١٣ . كذلك فإن الشمس لا تنكسف إلا عند نهاية الشهر العربي، والأيام التي يمكن أن تقع فيها كسوف الشمس هي ٢٧ ،٢٨ ، ٢٩ . وطبقا للحديث الشريف فإن كسوف الشمس سوف يقع في منتصف أيام كسوف الشمس أي يوم ٢٨ من شهر رمضان.

ولا يخفى بالطبع أن اجتماع كسوف الشمس والقمر في شهر رمضان وفي الأيام المحددة لكل منهما لن يحدث إلا كعلامة وآية لتصديق الإمام المهدي.. الذى لا بد أن يكون قد ظهر أولاً وأعلن عن نفسه أنه الإمام المهدي المنتظر وأنه المسيح الموعود.. ثم تقع تلك الآية تصديقًا له، فتكون بمثابة شهادة له سماوية من خالق السماوات والأرض.

وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام في الحديث النبوي المذكور، إذ يشير قوله: «إن لمهدينا آيتين» إلى أن الإمام المهدي سوف يظهر في زمن يكثر فيه المتنبئون الذين يدّعي كل واحد منهم أنه ذلك الإمام المهدي المنتظر، ولكن هاتين الآيتين لن تظهرا لأي واحد من أولئك المدعين الكذبة.. بل سوف تظهران كعلامتين لتصديق الإمام المهدي الحق الذي قصده رسول الله ﷺ ونسبه إلى نفسه بقوله: «إن لمهدينا آيتين»، ولم يقل: «إن للمهدي آيتين». فلو كان اكتفى بقوله (إن للمهدي آيتين) لما فُهم من كلامه أنه سيكون هناك مدّعون كذبة يزعم كل منهم أنه ذلك المهدي المنتظر. وعلى هذا فإن من شروط صدق الإمام المهدي الحق أن يسبق ظهوره مدّعون كذبة يدعي كل منهم أنه الإمام المنتظر. ونجد في الإنجيل إشارة إلى هذا الأمر أيضًا فيما يختص بكسوف الشمس والقمر، فيقول إنجيل مرقس:

«سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب كي يُضلوا لو أمكن المختارين أيضًا. فانظروا أنتم. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء. وأما في

تلك الآيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط». (إصحاح ١٣: ٢٢ - ٢٥)

وما أبلغ عبارة رسول الله ﷺ التي عبَّر بها عن ظهور المهديين الكذبة في زمن الإمام المهدي الحق بقوله: «إن لمهدينا آيتين». فأشار إلى أن توقيت هذه الآية الفلكية لن يوافق زمن هؤلاء الكذبة رغم تزامن ظهورهم مع الإمام المهدي الحق، بل إنها ستقع فقط كعلامة وآية لتصديق الإمام المهدي الذى اختاره وأقامه الله تعالى.

ماذا تقول الأديان الأخرى؟

ينبئ كثير من الأديان عن ظهور مصلح عظيم في الزمان الأخير ليصلح حال الدين في العالم، وتتغير الدنيا في زمانه، ويكون ظهوره في عصر يعم فيه الرخاء والسلام في العالم، ويتوحد فيه سكان الأرض تحت راية واحدة. فاليهود ينتظرون ظهور المسيح الذى سوف يقيم لهم مملكة عظيمة في الأرض، والنصارى ينتظرون عودة المسيح ليقيم مملكة الله على الأرض، والمسلمون ينتظرون الإمام المهدي والمسيح الموعود الذي يهلك الله في زمنه الملل كلها ويظهر الإسلام على الدين كله تحقيقا لوعده تعالى: ﴿هُوَ الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ (الصف: ١٠)، والهندوس ينتظرون ظهور كرشنا ليحقق المجد للهندوس، والزرادشتيون ينتظرون عودة ميسيو مرة أخرى ، وهكذا..

وقد حاول بعض علماء النصرانية أن يتتبعوا النبوءات التي جاءت في الكتاب المقدس عن ظهور المسيح.. ووجدوا أنها سوف تتحقق في القرن التاسع عشر.

وليس من المعقول أن يظهر مسيح لليهود ومسيح آخر للنصارى وإمام مهدي للمسلمين وكرشنا للهندوس وميسيو للزرادشتيين، ويعمل كل من هؤلاء في نفس الوقت لنشر دينه وتحقيق ظهوره على الأديان كلها. إن بعث كل هؤلاء في نفس الوقت سوف يؤدي إلى تفريق الناس بدلا من توحيدهم.. اللهم إلا إذا كانت كل تلك النبوءات تشير إلى مجيء إمام عظيم ومصلح كبير في دين واحد من الأديان هو الدين الحق، ويجمع هذا الإمام في نفسه صفات كل هؤلاء المبشر بظهورهم في آخر الزمان.

مرزا غلام أحمد - الإمام المنتظر
(١٨٣٥ - ١٩٠٨)

في منتصف العقد الثامن من القرن التاسع عشر، أعلن حضرة مرزا غلام أحمد القادياني أن الله تعالى قد اختاره مجددًا للدين الإسلامي، ثم أخبره تعالى بأنه الإمام المهدي الذي أنبأ عنه رسول الله ﷺ، ثم أخبره بأنه المسيح الموعود به للأمة الإسلامية، وأخبره كذلك أنه هو المقصود من نبوءات الهندوس عن ظهور كرشنا، كما أنه أيضًا بوذا للبوذيين، وميسيو للزرادشتيين. أي أن كل تلك النبوءات المختلفة التي جاءت متفرقة في أديان الأرض جميعًا قد تحققت في فرد واحد من بين المسلمين. وعلى ذلك، فإن الدين الذي سوف يظهره الله على الأديان كلها هو الإسلام، وأن المملكة التي سوف يقيمها الله على الأرض هي مملكة الإسلام، وأن وعد توحيد بني الإنسان تحت راية واحدة سوف يتم تحت راية «لا إله إلا الله - محمد رسول الله».

وحيث أنه قد أعلن للناس كافة أنه الإمام المهدي المنتظر، فقد كان لا بد أن تتحقق النبوءة الفلكية التي ذكرها رسول الله ﷺ تأييدًا لظهور المهدي. وعلى ذلك، فقد تحقق النبأ العظيم، وصدق رسول الله ﷺ، ووقعت المعجزة الفلكية التي أشار إليها، واجتمع الشمس والقمر كما - ذكر القرآن المجيد - في كسوف وقع في نفس الأيام التي حددها رسول الله ﷺ من شهر رمضان المبارك، وذلك في عام ١٣١١ الهجري، الموافق عام ١٨٩٤ الميلادي، وقد سجلته المراصد في ذلك العام ونشرت أخباره مجلة «ميليتري جازيت» الهندية، (MILITARY GAZETTE):

وطبع الإمام المهدي كتابا تحدث فيه عن هذه الآية الفلكية قال فيه:

«إن أيام الله قد قربت، وكلمات الله تجلت وبدت، وظهرت الآيتان المتظاهرتان، وانخسف النيِّران في رمضان، وجاء الماء لإطفاء النيران، فطوبى لكم يا معشر المسلمين، وبشرى لكم يا طوائف المؤمنين.... وأما تفصيل الكلام في هذا المقام، فاعلموا يا أهل الإسلام وأتباع خير الأنام، إن الآية التي كنتم توعدون في كتاب الله العلاّم، وتبشَّرُون من سيد الرسل نور الله مزيل الظلام، أعني خسوف النَّيِّرين في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن، قد ظهر في بلادنا بفضل الله المنَّان، وقد انخسف القمر والشمس وظهرت الآيتان، فاشكروا الله وخِرّوا له ساجدين.» (نور الحق، ج ٢ ص ١ و٧)

وجدير بالذكر أن قول رسول الله ﷺ: «إن لمهدينا آيتين» الذي يشير إلى ظهور مدّعين كذبة يدّعون أنهم المهدي المنتظر في زمن المهدي الحقاني الذي يقيمه الله تعالى قد تحقق أيضًا قبل ظهور تلك الآية الفلكية التى

وقعت تصديقًا للإمام المهدي مرزا غلام أحمد. ففي عام ١٨٤٤ م قام رجل في إيران اسمه علي محمد وادعى أنه المهدي المنتظر، وأنه "الباب" الذي يدخل منه السالك إلى حضرة الله تعالى، وكان هذا أول الكذابين الذين أشار إليهم رسول الله ﷺ، وذكرهم المسيح عيسى بن مريم في جملته المذكورة في إنجيل مرقس والمشار إليها آنفًا. وقد قُتل ذلك المهدي الكذاب في عام ١٨٥٠ م. وتبعه مهدي آخر عرف باسم محمد أحمد المهدي ظهر في السودان، وادعى أنه المهدي المنتظر في عام ١٨٧٩، وقد هلك عام ١٨٨٥، قيل بالمرض وقيل متأثرا بجراحه في القتال. ثم كان هناك بهاء الله، وكان من أتباع مهدي إيران «الباب»، ثم ادعى أنه مظهر الله في الأرض، ومع أنه لم يدع النبوة ولم يقل أنه المهدي المنتظر إلا أنه قضى حياته سجينًا في عكا بفلسطين حتى مات أخيرًا عام ١٨٩٢ م. ثم كان هناك سيدنا مرزا غلام أحمد الذي أعلن منذ منتصف العقد الثامن أنه مجدد القرن الرابع عشر الهجري، ثم أعلن أنه الإمام المهدي المنتظر، ثم أعلن أن الله أخبره بأنه مثيل عيسى بن مريم، وأنه في شخصه تتحقق كل النبوءات الخاصة بنزول المسيح عيسى بن مريم في آخر الزمان، أي النبوءات المذكورة في الإنجيل. ثم ذكر أنه ميسيو للزرادشتيين، وأنه كرشنا للهندوس. ونظر كثير من الناس إلى مرزا غلام أحمد على أنه مُدَّعٍ آخر مثل أولئك الذين ادعوا أنهم ذلك الإمام المرتقب والمهدي المنتظر، ولكن بعد بضع سنوات من إعلانه عن نفسه، وبعد أن سبقه في حياته ثلاثة آخرون.. غادروا جميعًا مسرح الحياة حين خلت الدنيا من كل أولئك الذين ادعوا بأنهم ذلك المهدي المنتظر، ولم يبق في الميدان سوى مرزا غلام أحمد فقط، وقعت تلك المعجزة الفلكية وتحققت النبوءة التي ذكرها رسول الله ﷺ عن كسوف الشمس وخسوف القمر وأنهما الآيتان اللتان تميزان المهدي الصادق حيث قال: «إن لمهدينا آيتين». وتحققت كذلك كلمات المسيح عليه السلام:

«سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب ليضلوا لو أمكن المختارين أيضًا. فانظروا أنتم.. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء. وأما في تلك الأيام (أي في أيام حياة المسيح الصادق) بعد ذلك الضيق (أي بعد فتنة المدعين الكذبة) فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه (أي يجتمع كسوف الشمس والقمر كما فصله حديث رسول الله ﷺ)».

ولا تقتصر هذه المعجزة الفلكية على كسوف الشمس والقمر في رمضان فحسب، أو على اجتماع كسوف الشمس والقمر علامةً على صدق الإمام المهدي الذي أقامه الله تعالى وتمييزًا له عن كل من سبقه من المدعين الكذبة بالمهدوية.. بل امتدت هذه المعجزة أيضا إلى التوقيت الذي يقع فيه كل من كسوف الشمس والقمر. فحديث رسول الله ﷺ ينص على أن كسوف القمر سوف يقع «لأول ليلة». وهذا يدل على أنه يقع في أول ليلة من ليالي خسوف القمر، ليس ذلك فحسب، بل ويقع في أول الليلة وليس في منتصفها أو في آخرها. وتحقيقًا لهذا فقد وقع كسوف القمر في نفس الليلة التي حددها رسول الله ﷺ.. وفي الجزء الأول منها بين الساعة السابعة والتاسعة والنصف مساءً.

كذلك فإن حديث رسول الله ﷺ ينص على أن كسوف الشمس سوف يقع «في النصف منه»، وهذا يدل على أنه يقع في منتصف أيام كسوف الشمس قريبا من منتصف النهار. وهذا ما حدث بالفعل.. إذ كُسفت الشمس فيما بين الساعة التاسعة والحادية عشرة قرب منتصف اليوم الثامن والعشرين من رمضان وهو منتصف أيام كسوف الشمس.

ولا تنتهي المعجزة الفلكية عند هذا الحد، بل يمتد أثرها حتى بعد وقوع الكسوف والخسوف. فإن الكسوف والخسوف آيتان مخوفتان يخوف الله بهما عباده إذا أراد أن ينذرهم بقرب نزول عذاب منه. ولذلك فقد حض رسول الله ﷺ أن يفزع الناس عند الخسوف أو الكسوف إلى الصلاة وذكر الله ودعائه وطلب المغفرة منه. فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خسفت الشمس، فقام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود ما رأيته قط يفعله، وقال: «هذه الآيات التى يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره» (البخاري، باب الكسوف والخسوف).

وفي ذلك يقول الإمام المهدي مرزا غلام أحمد عليه السلام:

«ثم اعلم أن الله نفث في روعي أن هذا الخسوف والكسوف في رمضان آيتان مخوفتان لقوم اتبعوا الشيطان وآثروا الظلم والطغيان، وهيجوا الفتن وأحبوا الافتنان وما كانوا منتهين. فخوفهم الله بهما وكل من تبع هواه وخان، وترك الصدق ومان، وعصى الله الرحمّن، فيأذن الله لئن استغفروا ليغفرن لهم ويُري المنَّ والإحسانَ، ولئن أبوا فإن العذاب قد حان» (نور الحق الجزء الثانى، ص ٣٥).

وهكذا تتضح أهمية هذه المعجزة الفلكية فى أنها

ستكون بمثابة الإنذار من الله تعالى لمن ينكر ظهور الإمام المهدي ويصر على تكذيبه، ويعصي رسول الله ﷺ الذي حض المسلمين على اتباع الإمام المهدي ومبايعته حتى ولو اضطروا أن يذهبوا إليه حبوًا على الثلج. (سنن ابن ماجه- كتاب الفتن باب خروج المهدي). فليست المعجزة الفلكية في مجرد اجتماع كسوف وخسوف في شهر من الشهور فحسب، بل إن اجتماع الكسوف والخسوف بالذات سيكون إنذارًا من الله تعالى للناس بأن «العذاب قد حان» كما أخبر بذلك الإمام المهدي، وكما سبق وأشار إليه رسول الله ﷺ حين حض المسلمين أن يفزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره.

فماذا حدث بعد وقوع تلك المعجزة الفلكية واجتماع كسوف الشمس وخسوف القمر في شهر رمضان سنة ١٣١١ الهجرية الموافقة ١٨٩٤ الميلادية؟

لقد حذر الإمام المهدي الناس أن العذاب قد حان، وأخبرهم عن طبيعة هذا العذاب وكيفيته، فذكر أنه سيأتي في صورة أمراض وأوبئة، وحروب وزلازل شديدة، ودمار يتعرض له العالم كله بشكل لم يشهد له مثيلا من قبل. ولم تمض سنتان بعد معجزة كسوف الشمس والقمر حتى انتشر في الهند وباء الطاعون الذي أخذ يحصد الناس بالآلاف. وطالبت الحكومة جميع المواطنين أن يتحصنوا بالمصل الواقي من الطاعون، فطلب الإمام المهدي إعفاءه هو وأتباعه من تناول هذا المصل الواقي من الطاعون حيث أن هذا المرض ليس سوى عذاب من الله يصيب المكفرين والمخالفين، وقد وعده الله أنه سيحفظه هو وكل من في داره من ذلك العذاب المهين.

وذاع نبأ ذلك الطاعون الذي انتشر في الهند ووصلت أخباره إلى مصر، فكتب مصطفى كامل باشا في جريدة "اللواء" التى كان يصدرها ينتقد موقف الإمام المهدي سيدنا مرزا غلام أحمد لطلبه الإعفاء له ولأتباعه من التطعيم بالمصل الواقي من الطاعون. فرد عليه الإمام المهدي بكتاب سماه (اللواء وآية من السماء) أو (مواهب الرحمن)، شرح فيه لصاحب جريدة "اللواء" المصرية أن السبب في طلبه الإعفاء من التطعيم هو وعد الله له فيما يختص بهذا الوباء بالذات حتى يكون في هذا آية أخرى ومعجزة تبين صدقه وتدل على أنه هو الإمام المرتقب والمهدي المنتظر والمسيح الموعود.

ولكن.. ما كان الشيطان ليستسلم بسهولة ويترك قبضته التي يضل بها الناس. ولذلك ، فإن العذاب استمر ووقع بشكل لم تشهده البشرية من قبل في تاريخها الطويل. ففي سالف الأيام.. كان عذاب الله يقع على اقوام الانبياء حين يصرون على تكذيبهم ورفضهم اتباع مبعوثي السماء، ولم يكن هؤلاء الأقوام في أغلب الأحيان أكثر من سكان قرية بعث فيها النبي، أو قبيلة أرسل الله إليها رسولا، فكان ضحايا العذاب في أكثر تلك الوقائع لا يتعدون بضعة آلاف من الناس، فلم يكن في تلك الأزمنة مدنٌ واسعة يسكنها أعداد كبيرة من الناس، ولم يكن الأنبياء يبعثون إلى العالم أجمع، بل كانوا يأتون إلى قرية أو قبيلة أو مدينة صغيرة. وأما في عصرنا الحديث.. زمن الإمام المهدي الذى هو في الحقيقة امتداد لزمن المصطفى ﷺ.. فقد تحول الزمان وتغيرت الظروف وصار البشر جميعا يعيشون على كوكب الأرض كأنهم في مدينة واحدة، وتضاعف عدد سكان العالم بشكل لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية. ولذلك بعد أن تجلت المعجزة الفلكية في حياة الإمام المهدي عام ١٨٩٤ ، كان العذاب في انتشاره واتساع آثاره بشكل لم تر البشرية له مثيلا من قبل.

نعم.. طالما عانت البشرية من الحروب الطوال، ولكن الحروب التي وقعت بعد معجزة كسوف الشمس والقمر فاقت في شدتها وآثارها كل حروب البشرية في تاريخها الطويل.. سواء أكان ذلك في أنواع أسلحة الدمار التي استخدمت فيها، أو في عدد الضحايا من القتلى والجرحى والمشردين، أو في عدد المساكن والمباني والمعدات التي هدمت ودمرت وخُرِّبت.

كذلك كانت البشرية تتعرض من حين لآخر لوباء هنا أو مرض هناك، ولكن الأوبئة والأمراض التي وقعت في العالم بعد وقوع الكسوف والخسوف قد زادت ضحاياها واتسع انتشارها عن كل تلك الأوبئة التي وقعت في تاريخ البشرية بأكمله، سواء بالنسبة لعدد الضحايا الذين ماتوا بسبب تلك الأوبئة، أو عدد الضحايا الذين وقعوا فريسة لتلك الأمراض، أو في حجم المناطق التي انتشرت فيها هذه الأوبئة، أو في نوعية وتعدد أنواع الأمراض التي لم تكن معروفة في العالم من قبل.

لقد حصد وباء الطاعون في حياة الإمام المهدي عليه السلام مئات الألوف من البشر. ثم تلاه وباء الإنفلونزا الذي قضى على عشرين مليونا من الضحايا في عام واحد. ثم تلا ذلك أوبئة وأمراض أخرى مثل شلل الأطفال والكوليرا والملاريا والجدري والسرطان وأمراض القلب والأمراض الجنسية والأمراض النفسية وأمراض إدمان المسكرات والمخدرات وغيرها، وأمراض أخرى لم يكن يعرفها الإنسان من قبل مثل مرض العصر الحديث وهو الإيدز الذي يقدر عدد

ضحاياه في نهاية هذا القرن بما لا يقل عن مائة مليون من البشر في جميع أنحاء العالم.

وبالإضافة إلى كل ذلك.. يأتي الخراب والدمار وضحايا الزلازل والبراكين والعواصف المدمرة والفيضانات والمجاعات والانهيارات الاقتصادية التي عمت العالم في هذا القرن الأخير بشكل لم يحدث له مثيل من قبل.

وهكذا تحققت النبوءة التي ذكرها رسول الله ﷺ. ولم يكن الأمر إذن مجرد كسوف للشمس أو للقمر، وإنما تميزت تلك النبوءة بالذات بأن اجتمعت فيها كل العوامل الآتية:

أولا: أن عددا من الناس سوف يدّعي بأنه الإمام المهدي، ولكن كسوف الشمس والقمر لن يحدث إلا بعد أن يرحل كل المدعين الكذبة عن مسرح الحياة، ثم تقع المعجزة الفلكية في حياة الإمام المهدي الصادق تأييدًا له.

ثانيا: أن الإمام المهدي الذي أقامه الله تعالى وأنبأ عنه رسول الله ﷺ سوف يعلن أولا عن نفسه، ويدعو الناس إلى الإسلام الصحيح، ويقوم بتجديد الدين وتطهيره من العقائد الفاسدة الدخيلة عليه والإسرائيليات التى تسربت إلى أفهام أتباعه، وبعد أن يكذبه عامة الناس تقع المعجزة الفلكية تصديقًا له وتحقيقًا لوعد رسول الله ﷺ.

ثالثا: أن القمر سوف ينكسف في أول ليلة من ليالي كسوف القمر، أي في الليلة الثالثة عشرة من الشهر العربي.

رابعا: أن كسوف القمر سوف يتم في الشطر الأول من الليلة التي يقع فيها ذلك الكسوف.

خامسا: أن الشمس سوف تنكسف في اليوم الأوسط بين أيام كسوف الشمس وهو اليوم الثامن والعشرين من الشهر العربي.

سادسا: أن كسوف الشمس سوف يتم في الجزء الأوسط من النهار الذي يقع فيه ذلك الكسوف.

سابعا: أن كلاً من كسوف الشمس والقمر سوف يقع في شهر رمضان المبارك.

ثامنا: أن اجتماع الكسوف والخسوف في شهر رمضان يجب أن يحدث في نفس العام وليس في رمضانين متفرقين وذلك حتى يتم النبأ القرآني الخاص باجتماع الشمس والقمر.

تاسعا: أن اجتماع هذا الكسوف والخسوف في الأوقات المحددة وفي الأيام المحددة وفي الشهر المحدد يجب أن يحدث في المنطقة التي ظهر فيها الإمام المهدي. وقد تم هذا في الهند عام ١٨٩٤ الموافق عام ١٣١١ الهجري.

عاشرا: ولما كان شهر رمضان - مثل سائر الشهور العربية - قد تختلف بدايته من بلد إلى بلد.. لزم أن تكون المنطقة التي ظهر فيها الإمام المهدي هي النقطة المركزية التي يتحدد فيها ابتداء الشهر وبالتالي تتحدد أيام الكسوف والخسوف حسب نبوءة رسول الله ﷺ.

حادي عشر: حيث أن نبوءة رسول الله ﷺ عن الإمام المهدي هي نبوءة للعالم كله، لأن الإمام المهدي مبعوث للعالم أجمع، ومهمته هي نشر الإسلام وإعلاء رايته في العالم كله، لذلك وجب أن تتحقق النبوءة في الغرب كما تحققت في الشرق. وقد تم هذا في العام التالي مباشرة أي في عام ١٨٩٥ م الموافق١٣١٢ الهجري في شهر رمضان وفي نفس الأيام المحددة باعتبار أن النقطة المركزية هي البلد الذي ظهر فيه الإمام المهدي وهو الهند.

ثاني عشر: أن الظروف الجوية السائدة وقت الخسوف والكسوف لن تحول دون رؤيتهما بوضوح.

ثالث عشر: أن هذه المعجزة الفلكية ستكون بمثابة إنذار وتحذير من الله تعالى للناس، ودعوة لهم كي يتوجهوا إليه بالدعاء والاستغفار.. وإلا فسوف يعم العالم أجمع عذاب بشكل لم تشهد البشرية نظيره من قبل في تاريخها الطويل.

نعم.. إن كسوف الشمس والقمر ظاهرة طبيعية تحدث من حين لآخر، ولكن الله تعالى يستخدم تلك الظواهر الطبيعية ويجعل منها معجزات خارقة للعادة. إن من طبيعة العنكبوت أن تبني لها بيتًا في أي مكان، ومن طبيعة الحمام أن تضع بيضها في عشها الذي تبنيه حيث تشاء. فهذه كلها ظواهر طبيعية وأمور عادية، ولكن الله تعالى يجعل من تلك الظواهر العادية معجزات خارقة للعادة عندما يشاء سبحانه أن تقع تلك الأمور العادية في ظروف غير عادية. وهذا ما وقع مثلا عندما دخل رسول الله ﷺ الغار مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه أثناء هجرتهما من مكة إلى المدينة، فلحق بهما الكفار حتى وصلوا إلى باب الغار. ولكن لما رأى الكفار أن العنكبوت قد نسجت بيتها على باب الغار، وأن الحمامة قد باضت هي الأخرى على الباب، انصرف ذهنهم عن النظر داخل الغار وغادروا المكان. وهكذا جعل الله - جلت قدرته - من تلك الأمور العادية، أي بيتِ العنكبوت وبيض الحمامة معجزةً خالدة لنجاة رسوله الحبيب ﷺ.

كذلك الحال مع الكسوف والخسوف.. فكل منهما ظاهرة فلكية.. تقع من حين لآخر في هذا المكان أو ذاك، إلا أن اجتماعهما بهذا الشكل، في تلك الظروف،

في الأيام المحددة، وفي الأوقات المعينة، وفي الشهر المبارك، وبعد أن قام وادعى عدد من الناس أنهم المهدي المنتظر ثم خرجوا جميعا من الميدان إلا واحداً فقط.. حذر قومه من عذاب الله الذي أخبره عنه ثم وقوع العذاب فعلا بعد تحذيره.. كل هذا يجعل من الظاهرة الفلكية الطبيعية معجزة خارقة تدل على صدق الإمام المهدي والمسيح الموعود.. سيدنا مرزا غلام أحمد عليه السلام. إن الله تعالى يؤيد أنبياءه وأولياءه بآيات وعلامات ليس في وسع البشر أن يأتوا بمثلها، وحين أعلن سيدنا أحمد أنه الإمام المهدي المرتقب ظهوره على رأس القرن الرابع عشر الهجري.. أيده الله تعالى بالمئات من الآيات والعلامات التي تدل على صدقه وصدق دعواه، وكان من بينها هذه المعجزة الفلكية. وترجع أهمية هذه المعجزة إلى أن رسول الله ﷺ هو الذي أنبأ بها وأخبر عنها، ولذلك فإن تحققها بهذا الشكل بعد وفاة رسول الله ﷺ بما يقرب من ألف وثلاثمائة عام ليضفى بلا ريب دليلا عمليا ناصعا على صدق الرسول ﷺ.

ولكن.. الأسف كل الأسف.. أن بعض الناس يحلو لهم الاعتراض والتشكيك.. ويزعمون أن نبوءة الرسول ﷺ لم تتحقق حتى الآن، وهم لا يزالون في انتظار الإمام المهدي تماما كاليهود الذين لا يزالون ينتظرون المسيح الذي سبق أن ظهر فيهم منذ ألفي عام. وهؤلاء المتشككون يسوقون اعتراضاتهم على هذه المعجزة كما يلي:

الاعتراض الأول:

يقولون أن النبوءة تنص على كسوف القمر «لأول ليلة من رمضان»، وليس في أول ليلة من ليالي كسوف القمر. كذلك فإن الشمس يجب أن تنكسف في اليوم المنصِّف لرمضان وليس في اليوم المنصِّف لأيام كسوف الشمس.

ولإزالة الالتباس من أذهان أولئك المعترضين نكرر القول بأن كسوف الشمس والقمر يتبع سُنَّةً كونية خلقها الله تعالى وأرادها بمشيئته أن تكون كذلك. يحدث كسوف القمر حينما تتوسط الأرض بين الشمس والقمر ويقع ظل الأرض على القمر فينكسف. وهذا لا يمكن أن يحدث فلكيا إلا في الأيام الثلاثة التي تتوسط الشهر القمري. ولو شاء الله تعالى أن يغير نظام كونه ويبدل سنَّته التي حددها بنفسه لفعل، فإنه سبحانه قادر على كل شيء وهو فعال لما يريد، ولكنه تبارك وتعالى لا يقول شيئا ويفعل شيئا آخر مخالفا لقوله فإن هذا مما يتعارض مع حكمته، لذلك فهو يقول: ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (فاطر: ٤٤). والسنة الفلكية التي حددها الله تعالى للشمس والقمر هي أنه جعل لكل منهما مدارًا وفلكًا يسبَح فيه، فقال: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تُدرك القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهار وكل في فلك يسبَحون﴾ (يٰس: ٢٧). لذلك فمن المستحيل أن يخرج القمر من فلكه أو تحيد الشمس عن فلكها، ومن ثم لا يمكن أن يحدث كسوف القمر في أول ليلة من ليالي رمضان أو تنكسف الشمس في منتصف أيام الشهر، لا لأنه تعالى غير قادر على أن يفعل ذلك لو أراد.. وإنما لأنه قدّر أن تكون هذه سنَّته منذ الأزل.

ويمكن أن نكتفي بهذا القدر للرد على المعترضين. ولكن.. إضافة إلى ما سبق نقول إن النبوءة تنص على أن «ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان»، وصاحب هذه النبوءة هو رسول الله ﷺ الذي يُعَد كلامه أبلغ الحديث بعد القرآن الكريم. ورسول الله عربي، وكل عربي يعلم أن القمر لا يسمى قمرا إلا بعد مرور الأيام الثلاثة الأولى من الشهر العربي، أما في أيام الشهر الثلاثة الأولى فإنه يسمى هلالا. وهناك عشرات الأحاديث التي ذكرها رسول الله ﷺ عن ذلك الجرم السماوي الذي يظهر في السماء في أول كل شهر عربي وتتحدد عند رؤيته بداية الشهر، وفي كل الأحاديث الكثيرة لم ينس رسول الله ﷺ مرة واحدة في تسميته، بل كان دائما وأبدا يسميه هلالا. فما دام الأمر كذلك، وما دام رسول الله ﷺ يذكر أن القمر- وليس الهلال- هو الذي ينكسف، فإن هذا يدل على أن المقصود من «أول ليلة من رمضان» هو أول ليلة من ليالي كسوف القمر في رمضان.

الاعتراض الثاني:

يسوق بعض الناس حديث رسول الله ﷺ الذي يذكر فيه أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله وأنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، وبذلك يستدلون على أنه لا ينبغي اعتبار كسوف الشمس والقمر دليلا على ظهور المهدي.

إن هؤلاء المعترضين ينسون أن كسوف الشمس والقمر حسب ما جاء في نبوءة رسول الله ﷺ ليس دليلا على حياة المهدي أو على موته، وإنما هو آية على صدق دعواه. فإن الإمام المهدي لم يولد في تلك السنة وإنما أعلن دعواه لعدة سنوات قبل وقوع المعجزة الفلكية، ثم صار كسوف الشمس وكسوف القمر آيتين تؤيدانه وتصدقانه. فهما لم ينكسفا لحياته ولا لموته وإنما انكسفا تدليلا من الله تعالى وإثباتا لصدق الإمام الذي

اختاره وأقامه سبحانه وتعالى.

الاعتراض الثالث

حينما تفشل كل حيلة ولا يكون هناك مهرب فإن السبيل الوحيد أمام المنكرين والمعترضين هو أن ينكروا الحديث بأكمله ويقولوا: هذا الحديث ضعيف أو غريب أو حديث آحاد أو موضوع أو مكذوب، وبالاختصار.. لا تصح نسبته إلى رسول الله ﷺ.

ورداً على هذا الاعتراض نقول إن علم الغيب يختص به الله تعالى وحده، وهو يكشف بعض غيبه لأنبيائه ورسله حسب قوله: ﴿عالِمُ الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾ (سورة الجن). فإذا كان هناك نبأ منسوب إلى رسول الله ﷺ، وكان هناك ثلاثة عشر شرطا لابد من توافرها جميعا حتى يتحقق ذلك النبأ، وأنه لا يمكن لبشر أن يتدخل في تدبير تلك الشروط ليتحقق النبأ، ورغم كل ذلك فإن النبأ قد تحقق بكل شروطه، فهل بعد كل هذا يمكن أن يقال أن هذا النبأ ليس من قول رسول الله ﷺ؟ وهل يكشف الله تعالى عن غيبه لأحد بهذه الصورة إلا لنبيه ورسوله؟ إن النبأ في حقيقة الأمر ليس من رسول الله ﷺ بل هو من الله تعالى، وهو سبحانه الذي أنبأ به رسوله، وقد رواه الإمام الباقر وأثبته الإمام الدارقطني في مسنده منذ أكثر من ألف عام. إن الأمر ليس مجرد وقوع كسوف أو خسوف، وإنما هو نبأ عظيم يتضمن العديد من الأمور التي لا يمكن أن تجتمع كلها وتتحقق بفعل بشر، لذلك فإن تحقق النبأ بهذا الشكل المعجز لهو أعظم دليل على أن الله تعالى هو الذي أوحاه إلى عبده. ومن يرفض قبول نبأ قد تحقق بالفعل، ويصر على أن رسول الله ﷺ ليس بقائله فإننا نقول له: إن مصدر النبأ الذي تحقق هو الله تعالى، وسواء قبل المعترض نسبته إلى رسول الله ﷺ أم لم يقبل فإن هذا لا يغير من حقيقة النبأ، ولا من أهميته، ولا من أحقيته.. حيث أنه من وحي الله تعالى.

الاعتراض الرابع:

بعد أن تحقق الحديث وثبتت صحته.. يلجأ بعض الناس إلى حيلة أخرى، فيسوقون أحاديث تتضمن نبوءات لم تتحقق بعد وتتعلق بزمن ظهور الإمام المهدي. فمثلا يقولون: عند ظهور الإمام المهدي سوف يُهلك الله الملل كلها إلا الإسلام، وسوف ينتشر السلام ويعم الرخاء ويفيض المال وينتصر الإسلام على الأديان كلها. والآن بعد مرور مائة عام على وقوع الكسوف والخسوف لا يبدو أن شيئا من ذلك قد تحقق، وعلى هذا فلا يمكن ان يكون الإمام المهدي قد ظهر بعد.

وللرد على هذا نقول: إن الاعتراض المذكور لم ينف وقوع الكسوف والخسوف بالشروط التي أنبأ عنها رسول الله ﷺ، وهذا يعني أن المعجزة الفلكية التي ذكرها رسول الله ﷺ علامة على ظهور الإمام المهدي قد وقعت. فإذا كان هناك نبوءات أخرى لم تتحقق بعد، فلا ينبغي أن نفهم النبأ الذي تحقق في ضوء النبوءات التي لم تتحقق، بل العكس هو الصحيح، أي يجب أن نفهم النبوءات التي لم تتحقق في ضوء النبأ الذي وقع وتحقق بالفعل.

لا شك أن رسول الله ﷺ قد أشار إلى أن زمن الإمام المهدي سيكون زمان سلام وأمن ورخاء، وأن الإسلام سوف ينتصر على الأديان كلها، وأن الله سيهلك في زمنه الملل كلها إلا الإسلام، ولكن يجب أن نفهم أن فترة زمن الإمام المهدي تختلف عن فترة حياته. وعلى وجه العموم فإن حياة المبعوث من عند الله تعالى تختلف دائما عن زمن ذلك المبعوث. فحياة المبعوث تنحصر في الأيام التي يقضيها ويعيشها منذ ولادته إلى أن يتوفاه الله، ولكن زمنه يبدأ من بعثته وتكليفه إلى أن يأتي بعده نبي آخر من عند الله بدين جديد وشريعة جديدة.. فيبدأ زمن جديد. وعلى ذلك تكون حياة موسى عليه السلام هي تلك الفترة التي عاشها في هذه الدنيا، أما زمنه فيبدأ من ساعة بعثته وينتهي عندما بعث رسول الله ﷺ. كذلك فإن حياة عيسى عليه السلام هي الفترة التي عاشها في هذه الدنيا، أما زمنه فهو يبدأ منذ بعثته وينتهي عند بعثة رسول الله ﷺ .ونفس الأمر ينطبق أيضا على رسول الله ﷺ، فحياته لم تتجاوز ثلاثة وستين عاما، وأما زمنه فيبدأ منذ تكليفه بالرسالة حينما كان في سن الأربعين ولا ينتهي زمنه أبدا، بل يستمر إلى يوم القيامة.. لأنه ﷺ النبي الخاتم لكل الرسالات السابقة، ودينه هو الدين الكامل الذي ارتضاه الله تعالى لعباده إلى يوم القيامة.

كذلك فإن حياة الإمام المهدي تنحصر في تلك الأيام التي قضاها في هذه الدنيا، ولكن زمنه يختلف عن ذلك. فحيث أنه من أمة محمد رسول الله ومن خدامه، فإن زمنه هو في الحقيقة زمن سيده رسول الله ﷺ، ويمتد كذلك إلى يوم القيامة. وعلى هذا فحين يقول رسول الله ﷺ أن الله سيهلك في زمنه الملل كلها إلا الإسلام، وأن السلام والرخاء سيعم في أيامه فمن الخطأ أن نحصر تحقيق تلك الأنباء في فترة حياة الإمام المهدي.

ولا شك أن كل مسلم يتساءل عن الزمن الذي تتحقق

فيه نبوءات رسول الله ﷺ ويتحقق فيه انتصار الإسلام وانتشار السلام في الأرض. ولكي نفهم هذا يجب أن ندرس حياة الأنبياء الذين بعثهم الله إلى الأمم السابقة وكيف تحققت أنباء الله ووعوده بالنسبة لهم. فموسى عليه السلام جاء إلى قومه من عند الله تعالى ينبئهم بوعد الله لهم بأنه إذا اتبعوه ودخلوا الأرض المقدسة فإن الله سيجعلهم ملوكا ويمكّنهم من إنشاء مملكة عظيمة في الأرض المقدسة. فمتى تحقق هذا النبأ؟ لم يتحقق في حياة موسى عليه السلام، بل إنه مات قبل أن يضع قدمه في الأرض المقدسة، ولكنه أنشأ جماعة من المؤمنين.. مرت عليهم أعوام وأعوام حتى إذا ما انقضت القرون الثلاثة الأولى بعد بعثة موسى تحقق النبأ. أسس بنو إسرائيل مملكة قوية في الأرض المقدسة، وصلت أوج مجدها في حياة داود وسليمان عليهما السلام. وهكذا تحقق الوعد الإلهي في زمن موسى وليس في حياته.

كذلك الأمر بالنسبة لعيسى عليه السلام.. فقد وعده الله تعالى بأنه سيجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. فمتى تم تحقيق هذا النبأ؟ لقد أنشأ عيسى جماعة من المؤمنين، ولكن القرن الأول بعد بعثته انقضى وأتباعه يعانون اضطهاد الكفرة من اليهود والرومان. ثم انقضى القرن الثاني وهم ما زالوا يعانون من الاضطهاد. واستمر هذا الاضطهاد إلى أن انقضى القرن الثالث ثم تحقق الوعد الإلهي، وظهر صدق النبأ في عام ٣٢٥ الميلادي حينما دخل الإمبراطور قسطنطين في النصرانية وأمر بوقف اضطهاد النصارى. وهكذا تحقق النبأ في زمن عيسى عليه السلام الذي استمر ولم ينته إلا ببعثة رسول الله ﷺ.

ولم يختلف الأمر مع سيد البشر وخاتم النبيين ﷺ.. فقد بعثه الله رحمة للعالمين وبشيرا ونذيرا، وأمره أن يبلغ رسالته للناس كافة، ووعده بأنه سيجعل لدينه الغلبة والانتصار على الأديان كلها، وأكد له أن الحق سوف يظهر وأن الباطل سوف يزهق. فهل تحققت تلك الوعود والأنباء في العالم أجمع وبالنسبة للناس كافة؟ هل تم انتصار الإسلام على اليهودية والنصرانية والهندوسية والبوذية وغيرها من أديان العالم؟ هل ظهر الحق وعلا وزهق الباطل واندثر من الدنيا؟ لقد مات رسول الله ﷺ ولم يخرج دين الإسلام من نطاق شبه الجزيرة العربية. نعم.. حقق رسول الله ﷺ انتصارا عظيما على أعدائه في مكة والطائف، ولكنه لم يكن رسولا إلى مكة والطائف فحسب، بل كان رسولا إلى الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية، وإلى الهند والصين واليابان، وإلى الهنود الحمر من سكان أمريكا الشمالية والجنوبية وإلى سكان أستراليا، وهذه القارات الثلاث لم تكن قد اكتُشفت في ذلك الحين. ولا يجرؤ أي عاقل أن يتخذ من عدم تحقق تلك النبوءات دليلا لإنكار بعثة رسول الله ﷺ.. مثلما يحاول بعض الناس اليوم أن يتخذوا من عدم تحقق بعض النبوءات دليلا لإنكار بعثة الإمام المهدي. وحقيقة الأمر أن زمن رسول الله ﷺ، كما أشرنا سابقا، يمتد إلى يوم القيامة؛ وكل وعدٍ من الله، وكل نبأ له سوف يتحقق في زمنه، إن شاء الله. وكذلك فإن كل النبوءات التي ذكرها رسول الله بشأن الإمام المهدي سوف تتحقق في زمنه الذي يمتد هو أيضا إلى يوم القيامة. ولتحقيق ذلك فقد أنشأ الإمام المهدي بتوجيه من الله تعالى جماعة من المؤمنين تتولى العمل والسعي والجهاد في سبيل تحقيق تلك النبوءات. لذلك فقد أكد الإمام المهدي أن تحقيق انتصار الإسلام وظهوره على الدين كله سوف يتم قبل أن ينقضي القرن الثالث من بعثته، فقال:

«إسمعوا أيها الناس جميعًا! إن هذا النبأ من الله الذي خلق السماوات والأرض. إنه سوف ينشر هذه الجماعة في أقطار العالم كله، ويعطيها الغلبة على الجميع بالحجة والبرهان. إن الأيام آتية.. بل إنها لقريبة.. حين لا يُذكر بالعزة في الدنيا إلا هذا الدين. إن الله سوف يبارك هذا الدين وهذه الجماعة بشكل خارق للعادة ولأقصى غاية ، وكل من يسعى لاستئصالها سوف يخيبه الله، وتدوم هذه الغلبة إلى يوم القيامة. .... ولن ينقضي القرن الثالث بدءًا من هذا اليوم حتى لا يكون في العالم سوى دين واحد وإمام واحد. لقد جئت لأبذر البذر، وقد زرعت ذلك البذر بيدي، ولسوف ينمو الآن ويزدهر، ولن يستطيع أحد أن يعرقل نموه». (معرب من كتاب تذكرة الشهادتين ص ٦٧)

الجماعة الإسلامية الأحمدية

إن سيدنا مرزا غلام أحمد (١٨٣٥ - ١٩٠٨) الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام قد أسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بأمر من الله تعالى عام ١٨٨٩ م.. لكي تتولى نشر الإسلام وإعلاء كلمته في العالم أجمع. في ذلك الوقت كان وحده في الميدان، لا معين له ولا حول له ولا قوة.. اللهم إلا يد الله القديرة التي تتحرك من وراء الغيب، والتي حركت حفنة من القلوب المخلصة استمعت لندائه قائلة: «ربَّنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمِنوا بربكم فآمنا. ربنا

فاغفرْ لنا ذنوبَنا وكفِّرْ عنَّا سيئاتنا وتوفَّنا مع الأبرار • ربَنا وآتنا ما وعدتنا على رُسلِك ولا تُخزِنا يوم القيامة إنكَ لا تُخلف الميعاد﴾.

وفي مواجهة قوى الشر والطغيان، والتكفير والاضطهاد، تلقّى من الله وعدًا يبشره: «إني سأجعل رسالتك تصل إلى أركان الأرض». واليوم تضم هذه الجماعة المباركة حوالي عشرة ملايين من البشر، وتنتشر في أكثر من مائة وثلاثين دولة من دول العالم، وعلى رأسها الخليفة الرابع للإمام المهدي.. حضرة مرزا طاهر أحمد، أيده الله تعالى بنصره العزيز، وهي تعمل جاهدة، وتبذل كل غال ورخيص، وتقدم أي تضحية مهما عظمت، لكي ينتشر الإسلام في أرجاء العالم، وتعلو رايته خفاقة، ويجتمع شمل الأسرة الإنسانية كلها تحت لواء «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وبذلك يتحقق نصر الإسلام وغلبته وظهوره على كل دين، فيصدق وعد الله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ (الصف:١٠). وفي ذلك يقول الإمام المهدي عليه السلام: «لقد أنبأني الله مرارًا أنه سيكرمني إكراما عظيما، ويُلقي محبتي في القلوب، وينشر جماعتي في العالم كله، وأنه سيجعل جماعتي ظاهرة على الفرق كلها، وأن أفراد الجماعة سوف يحوزون الكمال في العلم والعرفان إلى حد أنهم يزمون ألسنة الجميع ويختمون على أفواههم بنور صدقهم وحججهم وآياتهم، وكل قوم سيشرب من هذا الينبوع. إن هذه الجماعة سوف تنمو بكل قوة، ولسوف تزدهر حتى تحيط بالأرض كلها. إن موانع كثيرة سوف تحدث، وابتلاءات عديدة سوف تأتي، ولكن الله تعالى سوف يزيلها جميعًا وليوفينَّ وعده». (معرب من كتاب تجليات إلهية)

أيها القارئ العزيز.. إن الجماعة الإسلامية الأحمدية تدعوك اليوم لتستمع إلى منادي السماء. استمع إلى رسول الله ﷺ وهو يدعوك أن تبايع الإمام المهدي ولو حبْوًا على جبال الثلج. استمع إلى كتاب الله وهو يدعوك: ﴿لَتُؤمنُنَّ به ولتنصرُنَّه﴾. استمع إلى قوله تعالى يدعوك لتكون من جماعة المؤمنين: «وَاصبِرْ نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم﴾ (الكهف: ٢٩). إنها الجماعة المباركة التي أنشأها الإمام المهدي بأمر من الله تعالى لكي تنشر الإسلام في العالم أجمع. استمع إلى صوت الزمان الذى يدعو لتوحيد الله تعالى وتوحيد الإنسانية جمعاء تحت لواء الإسلام. استمع إلى صوت العقل الذي يدعوك لتأخذ جانب الحق، فإن الباطل زاهق لا محالة، والحق أحق أن يُتبع، واتِّباع الباطل لن يؤدي إلا إلى المزيد من العذاب والخراب والدمار والهلاك. تذكَّرْ قول رسول الله ﷺ حين حذَّر وأنذر أمته عند رؤية آية الكسوف والخسوف فقال: «فإذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره».

إن الجماعة الإسلامية الأحمدية تحتفل هذا العام (١٩٩٤م) بمرور مائة عام على ظهور هذه المعجزة الفلكية.. التي كان في تحققها دليلٌ آخر على صدق رسول الله ﷺ، فهو الذي أخبرنا عن وقوعها تصديقا للإمام المهدي. والآن، بعد مرور مائة عام، استمع إلى ما قاله الإمام المهدي وحذر به البشرية جمعاء:

«تَذَكَّروا.. إن الله قد أخبرني عن وقوع زلازل عديدة، فكونوا على يقين أنه كما هزت الزلازل أمريكا وأوربا فإنها كذلك سوف تهز آسيا، وسيكون بعضها مشابها ليوم القيامة. وسوف يهلك العديد من الناس حتى تفيض أنهار من الدماء، بل إن طيور السماء وحيوانات الأرض لن تنجو من الموت القادم. إن دمارا شديدا سوف يعم ظهر هذه الأرض، وسيكون أشد ما وقع عليها منذ خلق الإنسان. إن أحياء بأكملها سوف تدمر وتغدو كأنْ لم يسكنها أحد من قبل. وسيكون هذا كله مصحوبا بكوارث مرعبة تأتي من الأرض ومن السماء حتى أن كل الكتابات العلمية والفلسفية لن تعطي وصفًا ولو قريبًا لتلك الكوارث المقبلة.إن الإنسانية سوف تكون في حالة شديدة من الغم والعجب.. لا تدري ماذا يمكن أن يحدث. سينجو الكثير.. ولكن الكثيرين أيضا سوف يهلكون. إن الأيام قريبة، بل إني أراها بالوصيد، حينما يرى العالم مشهدا مريعا.. ليس من الزلازل فقط.. ولكن من مصائب فظيعة سوف تحل بالإنسان. يقع بعضها من السماء وبعضها من الأرض. كل هذا سوف يحدث لأن الناس تغافلوا عن عبادة الإله الحق وانغمسوا في أمور الدنيا بكل قلوبهم وكل جهدهم وكل مآربهم. إن لم أكن قد أتيت لكان من الممكن أن يتأخر وقوع تلك المصائب بعض الوقت، لكن بعد مجيئي فإن التدابير الخفية التي يكشف عنها غضب الله تعالى سوف تتضح بجلاء. يقول الله تعالى: ﴿وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولا﴾. إن الذين يتوبون إلى الله تعالى سوف يجدون الأمان، وأولئك الذين يخشون الله قبل أن تعصف بهم الكارثة ستشملهم رحمة الله تعالى. هل تظنون أنكم في مأمن من هذه الكوارث؟ أم هل تظنون أنكم تستطيعون إنقاذ أنفسكم بتدابير مصطنعة؟ كلا، إن التدابير البشرية سوف تفشل كلها في ذلك اليوم. فلا تظنوا أن الزلازل قد أصابت أمريكا وبعض القارات الأخرى فتكون بلادكم بمأمن منها. حقا

بقية ص ٢١

البحث عن مسيح الإسلام

بقلم:خالد أحمد فؤاد صالح

نشأ كاتب هذه السطور في بيئة إسلامية تقليدية طيبة، وتشرَّبَ محبة الله ورسوله منذ نعومة أظفاره. واقع الأمر كان لدي اشتياق عميق لأعرف الله تبارك وتعالى حق المعرفة، وأحيا حياةً إسلامية صحيحة، لذا كنت مولعًا في صباي بقراءة السيرة النبوية المطهرة وسير الصالحين من عباد الله، وكان دائما يداعب خيالي حياةٌ بطولية نقية كحياة الصالحين العظماء، حياة ملؤها المحبة لله، والتضحية في سبيل هذه المحبة بأي شيء مهما كانت قيمته وعظمته.

مع تقدمي في السن تولدت في ذهني أسئلة صعبة حول الدين والتدين، وكانت لدي رغبة جارفة للتعرف على كل الأديان أيًا كانت. لم يعجب هذا التوجه أحدًا ممن أعرفهم، وكنت عندما أذهب لأسأل أحدًا ممن أظن أن لديه الدراية بعلوم الدين.. كان ينظر إلي بشك واشمئزاز، ويخاطبني بلهجة ملؤها التحقير والازدراء. كان البعض يظن أن بي مسًا من الجنون أو روحًا شيطانية تلبَّسني، وأنني مريض نفسيًا ينبغي أن أذهب لمصحة الأمراض النفسية. لم يحترم أحد تساؤلاتي أو شكوكي، وانتهى بي الأمر إلى أن أصبحت منبوذا محتقرًا من الجميع. فثارت حولي الأقاويل والحكايات. كل هذا حدث لي عندما كنت صبيًا لم أتجاوز من العمر ستة عشر ربيعًا؟!!

بدأت أسأل نفسي وأقارن بين الصورة النقية التى كنت أحملها عن الإسلام في ذهني وبين واقع الحياة الذى صدمني بعنف، وقلت: يا سبحان الله! ألا يوجد من بين كل هؤلاء العلماء والمشائخ والمتدنيين الأفاضل من هو قادر على احتواء صبي صغير السن ويترفق به ويتساؤلاته.. بدلاً من الإساءة والشتم حتى قيل لى أننى فضحت عائلتي كلها أمام الجميع؟!

كانت هذه الصدمة العنيفة التى عشتها في مطلع حياتى سببًا في انعزالي عن الجميع انعزالا شبه كامل، فلم أكن لأكلم أحدًا أو أتخذ صديقا، بل كان كل معارفي بعد هذا من غير المسلمين. وشددت الرحال بعيدًا، وبدأت أقرأ من جديد باحثًا عن طريق آخر. فاستغرقت في علاقة حميمة مع المسيحيين، وأخذت أقرأ في الأناجيل وأدرسها كما يدرسها علماء اللاهوت، وأشبعت تاريخ الكنيسة بحثًا. وصُدمت من خلال هذه الدراسات بحقيقة الكتاب المقدس، فمعظم نصوصه لا تسلم من النقد بسبب ضعفها وعدم ثبوت نسبتها إلى المسيح أو لتلاميذه. كما أن عقائد المسيحية لم تقرَّر بشكل حاصل إلاّ بعد قرون عدة من وفاة المسيح، وبعد معارك طاحنة بين طوائف النصرانية المختلفة.(١)

كما أن الكثير مما شاع حول شخصية المسيح تغير بسبب الكشوف الجديدة لنصوص نصرانية قديمة تُقدم المسيح بشكل مختلف. فمنها ما تحدث عنه كرجل متزوج من مريم المجدلية، بل أن بعض هذه النصوص يقرر أن المسيح ولد من خلال علاقة زوجية بين الصديقة مريم والصديق يوسف النجار.. وقد باركها روح الله التي أعدت هذا الصبي لرسالة روحية بالغة الأهمية. (٢)

لذا فليس من المستغرب أن تنهار الكنيسة في الغرب، إذ ليس لدى قادتها بالفعل أجوبة على تساؤلات الناس الجادة المبنية على حجج عقلية منطقية وتاريخية ودينية صحيحة.

إلا أن دراستي للمسحية بشكل عميق وأكاديمي قادتنى للعديد من الأفكار المتعة. فلقد أحببت شخص المسيح.. هذا الإنسان البار الوديع، الذي يترفق بضعفاء الناس الذين يفعلون ما يفعلون بسبب الجهل وعدم العلم. وقادني هذا الاكتشاف إلى أن المسيح عليه السلام لم يأت بديانة جديدة كما هو شائع بين العامة.. فما جاء إلا ليكمل الشريعة الإلٰهية المنزلة على موسى(٣). وهذا التكميل هو إعلان المقاصد الحقيقية للمشرع الأعظم. وكان المسيحيون الأوائل يذهبون للعبادة في هياكل اليهود (٤)، ويقدسون يوم السبت (٥). بل في فترة لاحقة كان يُطلق لفظ مسيحي أو مسيحيين على أتباع المسيح على سبيل السبّ والشتيمة (٦)، وليس إقراراً لهم كأصحاب ديانة مستقلة. وواقع الأمر أن أتباع المسيح الأوائل كانوا "أهل طريق"، وهو تعبير يُستخدم في الشرق إشارة إلى جماعة من الناس تنتظم حول معلم روحى يعلمهم أسرار الحياة الروحية. وتتميز هذه الجماعات بالزهد والتقوى وخشية الله، ولكنها لا تُعتبر أديانًا مستقلة؟!

ولم يكن كثير من الطقوس التي اعتبروها فيما بعد علامة مميزة للمسيحيين إلا امتدادا لممارسات جماعة أهل الزهد الموجودة في هذا الوقت. ومن أمثلة ذلك طقس "العشاء الرباني" أو ما يسمى أحيانا "كسر الخبز أو القداس"، فهو مجرد امتداد لطقوس "الأسينيين"..(٧) وهم جماعة من الزهاد في تلك الفترة، ولا يحمل معنى أكثر من إعلان محبة أعضاء الطريقة لبعضهم البعض. وهذه الطقوس شائعة أيضا بين أعضاء الطرق الصوفية في الشرق، فبعد ذكر الله تعالى يجتمعون سويًا لأكل الثريد باللحم.

أما طقس المعمودية فهو أيضا مما كان شائعا في ذلك الوقت. فكل من تاب عن ذنوبه يغتسل في ماء النهر على يد

معلمه الروحي كعلامة على التجدد الروحي والتطهر الذي يعيشه الإنسان. وقد مارسه قبل المسيح سيدنا يحي النبي المشهور باسم المعمدان والأسينيون وأهل الزهد الآخرون. واليوم نجد من يدخل الإسلام يلزمه أن يغتسل للتوبة. ولا علاقة لهذه الممارسات بعقيدة الثالوث التى استحدثها الرومان الوثنيون ليجتذبوا الشعوب الوثنية إلى المسيحية التى ألّفها "مجمع مقدونية".

على أي حال أود أن أعود لأتأمل مرة أخرى ولو قليلا في شخص المسيح، لأن هذا قادني إلى تغير جديد في حياتي. قلت إن المسيح كما هو ثابت تاريخيًا من كل المراجع والنصوص المحترمة لم يعلن أنه جاء ليؤسس ديانة جديدة، بل كانت كل تصرفاته قائمة على إبراز الروح السمحة للشريعة وإعلان حقائقها. خذ مثلا حواره مع اليهود حول السبت (٨).. لقد قال لهم إن الله شرع شريعة السبت لراحة الإنسان، ولم يخلق الله الإنسان من أجل السبت، بل صنع السبت من أجل الإنسان. أو عندما تحدث إليهم حول قضية الحدود عندما طالبوا برجم امرأة زانية (٩) . فلقد كشف ستارهم وعدم أهليتهم أجمعين لتطبيق الحد.. لأنهم أنفسهم خاطئون. أو في حواره حول قضية العنف (١٠). فضلا عن هذا أعلن أن الله نزع منهم -اليهود- ملكوته وقرر أن يعطيه لأمة أخرى (١١). ولم ينادِ بأي شيء خلاف توحيد الله. والعبارات التى أُغلق على اليهود فهمها فجدفوا عليه بسببها لا يجد فيها العارف بلُغة أهل الله أي نوع من الشرك أو التثليث أو أي شيء من هذا الافتراء، بل إنها تكشف عن فناء ذات حضرته في محبة الله تعالى، فلم يعد يرى لوجوده الشخصي بقاءً بل ذوبانًا في طاعة الله.

هذه الفترة الطويلة التي قضيتُها في مطالعة المسيحية وتاريخها وكتبها المقدسة كشفت لي أوجه شبه تستدعي التساؤل بين الأمة الإسرائيلية والأمة الإسلامية، فظننت فترة من الزمان أن الإسلام منقول تماما من اليهودية، ولكن أظهرت لي الدراسة المتعمقة خطأ ظنى، وكشفت لي حقيقة الأمر: فالأمتان متشابهتان إلى حد ما؛ فقد كانت النشأة الأولى لكل منهما بين قبائل تغلب عليها السمة الرعوية، وقلة الحظ الدنيوي، والجهل الروحاني. وتحيط بها أمم كانت تسود العالم، ليس بقوتها العسكرية فحسب، بل بالحكمة والفلسفة أيضا. فكانت مصر الفرعونية زمان موسى عليه السلام بكل ثقلها المادي والمعنوي، وكانت الإمبراطورية الرومانية والفارسية زمان المصطفى ﷺ؛ وكان على النبيين الكريمين شق الطريق وسط جحيم لا يطاق من الكراهية والعداء من حولهما عسكريا واقتصاديا ودينيا، وأن ينتصرا على كل ذلك. ولقد حققا ذلك بمعونة خالق السماء والأرض جل علاه وانهارت كلتا الأمتين انهيارًا تاما، وزال مجدها لزمان طويل حتى تمكن اليهود من بناء دولة على أرض فلسطين.. الله وحده يعلم مصيرها. لكن الذى أثار انتباهى أن هذا الزلزال الصاعق الذى أطاح ببنى إسرائيل ودولتهم في القرن الأول الميلادي وشتتهم في أرجاء الأرض جاء بعد نبوءة صارمة من المسيح عيسى عليه السلام (١٢). فلقد أعلن حضرته أن ثمن رفض اليهود له وجفاء قلوبهم سيكون غاليًا جدًا. ولقد تحقق ذلك فعلاً.

رجعت مرة أخرى إلى القرآن وخصوصا فيما يتعلق بقضية انهيار أمة اليهود ورفضهم مسيحهم عيسى، وقفزت هذه الفكرة إلى ذهني مرة واحدة: لعل لأمة محمد هي الأخرى مسيحًا منتظرًا؟

إننى أعرف بحكم نشأتى كمسلم أن المسيح عيسى سيرجع في الدنيا آخر الزمان ليحكم بالإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويفيض المال في زمانه، وهذا يعنى أن المسيح سيخوض حروبًا فكرية في زمان عودته كتلك الحروب الفكرية التى خاضها في بعثته الأولى ضد المتعصبين والملحدين، ويعلن حقائق الشرع. لكن ما سمعته أنه سيقف إلى جانب المهدي.. وهو شخصية دينية أخرى منتظرة، ليخوضا حربًا مسلحة ضد أعداء الدين حتى يقضيا عليهم قضاءً مبرمًا.

لكن اطلاعى مرة بعد مرة وبروح حية على نصوص القرآن هدانى لمبدأ قرآني هام وحاسم، ألا وهو مبدأ حرية العقيدة. فكيف سيأتى المهدي والمسيح ليقضي الاثنان بسيفيهما على مبدأ قرره الله تعالى منذ بداية الخلق، وأعلنه كأساس لحكومته: ﴿من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾؟! الواقع أنه تولد في قلبي اشتياق لمسيح محمدى، أعني من أتباع نبينا محمد ﷺ، يعلن محبة الله وغفرانه، ويترفق بالبؤساء والضالين، ويشنها حربًا فكرية صارمة على المتعصبين الذين يغلقون أبواب رحمة الله في وجوه عباده، ويضيقون على الخلق حياتهم بعجرفتهم وقسوتهم وضيق صدورهم وعلمهم وأفق تفكيرهم وينشر دين الرحمة والعدل والسلام بين خلق الله، ويجدد الحياة في شرايين الأمة التى أضناها التعب وأنهكها المرض وضلت طريقها، فلم تعد تعرف لنفسها سبيلاً.

هذا الاشتياق الحار للمهدي أو المسيح أو لكليهما أو للمبعوث المنتظر .. دفعنى من جديد للبحث عن علامات المنتظر أيًا كان، فتتبعتُ نصوص الكتاب المقدس عن مجيء المسيح الثانى، واطلعت على الأحاديث الخاصة بعودة المسيح. كان ثمة حاجز لم أستطع تجاوزه: فمن خلال دراستي التاريخية أعرف أنه في نهاية القرن التاسع عشر كانت ثمة حالة ترقُّبٍ عالمية لعودة المسيح في الشرق والغرب، وكان دارسو نبوءات الكتاب المقدس مقتنعين بشكل حاسم أن المسيح سيظهر في هذه الفترة ليقيم مملكة الله.. لقد عبرت هذه الفترة ولم يبق منها إلا تحطُّمُ آمال

حركة الأدفنتست وشهود يَهْوه وغيرهما من الحركات المسيحية في العالم.. الذين انتظروا عودة المسيح على سحاب السماء. وقامت أيضا حركات مهدوية في الشرق ادعى كل قائم بها أنه المهدي المنتظر موعود أمة محمدﷺ. ولقد انتهت معظمها بشكل درامي عنيف، سالت فيه الدماء أنهارا.. كحركة مهدي السودان، وحركة "الباب" في إيران. غير أن باب إيران وخليفته "البهاء" ذهبا إلى أبعد من هذا.. فلقد أعلنا أنهما جاءا لإشهار ميلاد ديانة جديدة، وكتابة شهادة الوفاة لأمة محمد ﷺ إلى الأبد!

وفي قاديان - وهي قرية مجهولة لا تُرى على خريطة العالم في بلاد الهند - كانت هناك شخصية أخرى لم يأت لإعلان وفاة دين محمد، بل جاء ليعلن أن دين محمد هو الدين الحي الخالد إلى الأبد، وأنه جدير بالبقاء لأنه الدين الوحيد الذى يعلن للإنسان مشيئة الله الحقة.

وكان على هذا الرجل البسيط - حضرة مرزا غلام أحمد - أن يخوض حربًا ضروسًا ضد عشرات الاتجاهات والقساوسة والمتنصرين الذين جرّحوا جسد الإسلام وهو جريح من قبل على يد العلماء المضللين والمشائخ المتعصبين الذين كانوا يتفاخرون بأن الإسلام انتشر في العالم على أسنة الرماح، وأنه سيعود على أسنة الرماح؛ وضد الملحدين وغيرهم. هذا فضلا عن الانهيار الخلقي والروحي الذى كان يعيشه مسلمو الهند في هذا الزمان، بل إن صح القول الذى كان يعيشه كل المسلمين في العالم. أعلن سيدنا غلام أحمد أنه المسيح والمهدى المنتظر، وأنه جاء ليضع بذرة الانبعاث الروحي الجديد، العالمي النطاق، لرسالة محمد ﷺ وأن هذا سيتم بفضل الله وعونه، وليس على أسنة الرماح. فثارت الثوائر ودارت الدوائر واتُّهم بالجنون والعمالة للإنجليز، ودُبرت ضده المؤامرات، لكنه أعلن بمنتهى البساطة أنه على استعداد للمباهلة مع الجميع ليتبين الصادق من الكاذب.

عندما اطلعتُ لأول مرة على الطريقة التى يعلن بها الأحمديون الإسلام كدت أبكي لهذا القدر الهائل من الشفافية العميقة في تفهم النصوص القرآنية وربط الأمور الروحية بالحياة الدنيوية. ويعلم الله جل شأنه أننى عندما أقرأ خطب سيدنا أمير المؤمنين مرزا طاهر أحمد أشعر بجذب روحاني وذهني لم يسبق لي الشعور بمثله مع أي كتاب قرأتُه من قبل.. رغم اطلاعي على كافة تيارات الفكر الإسلامي.

عندما أنظر لحالة العالم الإسلامي، وأتذكر تجربتي الشخصية في التعامل مع من يسمونهم بالعلماء - وهم في واقع الأمر حفاظ نشيطون لنصوص فقهية وُضعت في عصور التسلط السياسي- يرد إلى ذهني حديث النبي الكريم ﷺ: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود.»

لقد رفض اليهود مسيحهم عيسى بن مريم فحَق عليهم غضب الله، وها هم مشائخ النفط ومن سار نهجهم وانتفع من دينارهم.. يؤلبون الأمة الإسلامية المسكينة على مسيحها.. الذى قدّر الله لها على يديه البقاء والحياة، ويزجون بالشباب الغض البريء في مجاهل الهمجية المقيتة والتعصب القبيح.. زاعمين أنهم يهدونهم سبيل الرشاد، وهم في الواقع يوردونهم مورد التهلكة، عافانا الله!

إن أمة محمد ﷺ «خير أمة أخرجت للناس».. تواجه تحديا ليس هينًا. تحديا يتعلق بمصيرها الكامل.. فإما عودة إلى رسالة نبي الإسلام.. أمير السلام.. سيدنا محمد ﷺ، واتباع مسيحه ومهديه سيدنا أحمد، أو يستبدل الله قوما غيرهم ولا يكونوا أمثالهم. عافانا الله من سوء العقاب. والسلام على من اتبع الهدى. وبمشيئة الله تعالى للحديث بقية إن كان في العمر بقية.

المراجع

١ و ٧ - De Verbren erfinis J.Slavenbug 1993

٢ - Een ander Testament j.Slavenbug 1993

٣ - إنجيل متى: ٥ :٧

٤ - سفر أعمال الرسل ٢ :٤٦

٥ - رسالة بطرس الرسول الأولى ٤ :١٤ - ١٦

٦ - سفر أعمال الرسل ٩ :٢

٨ - انجيل متى ١٢ :١ إلى ٨

٩ و١٠ - انجيل يوحنا ٨ :١ إلى ١١

١١ - إنجيل متى ٢٣ : ٢٧ إلى ٣٩

معجزة فلكية، بقية

إن مصيبة اكبر سوف تحل بكم.

أيا أوربا إنك لست في مأمن، وأنت يا آسيا أيضا لست بناجية منها، وأنتم يا سكان الجزر لن تغيثكم الآلهة الباطلة. إنني أرى مدنا وأحياء تتحول خرابا ودمارا. فقد ظل ذلك الإله الواحد الأحد صامتا لزمن طويل، وارتُكبت المعاصي والرذائل بين يديه ولم يقل شيئا. لكنه الآن سوف يكشف عن وجهه الجلالي بقوة. فمن كانت له أذنان للسمع فليسمع.. إن ذلك الوقت ليس ببعيد. لقد بذلت أقصى جهدي لأجمع الجميع تحت رحمة الله تعالى، ولكن يبدو أن القدر المكتوب لا بد أن يتحقق. الحق والحق أقول.. إن دور هذه البلاد أيضا يقترب بسرعة، فإن زمن نوح سوف يظهر أمام أعينكم، وسوف تشاهدون بأعينكم الكوارث التي حلت بمدن لوط. ولكن الله بطيء في إظهار سخطه، فتوبوا حتى تدرككم رحمة الله. فإن من لا يخشى الله ليس من الأحياء بل هو يقينا من الأموات». (معرب عن الترجمة الإنجليزية- حقيقة الوحي: ص ٢٥٦ - ٢٥٧)

أيها القاريء الكريم.. هل رأيت تحقيق هذه الكلمات في خلال المائة عام المنصرمة في حربين عالميتين راح ضحيتهما أكثر من مائة مليون إنسان ما بين قتيل وجريح ومشرد؟ هل أنت في مأمن من حرب ثالثة لا ينجو منها الأخضر واليابس؟ استجب لداعي الله.. فعسى أن تنالك رحمة الله تعالى. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الملامح البارزة للجماعة الإسلامية الأحمدية

بقلم: مبشر أحمد

ترجمة: عبد المجيد عامر

أولا وقبل كل شيء أريد أن أوجه أنظار القراء الكرام إلى حقيقة مُهمة، ألا وهي أن الجماعة الإسلامية الأحمدية قد تأسست بناء على الوحي الإلهي، ذلك لأن إحياء الإسلام يتم بقدرة الله تعالى ولا يكون بمجرد مساعٍ إنسانية.

إن قيام الجماعة الإسلامية الأحمدية له أصل عميق وثابت في نبوآت نبينا الكريمﷺ. فقد أنبأ المصطفىﷺ عن انحطاط المسلمين وما سيصيبهم من فوضى بعد القرون الثلاثة الأولى. وهذا ما نراه متحققا. ثم أنبأ المصطفىﷺ أن الله تعالى سينزل من عنده علاجا شافيا لهذه المفاسد ولإحياء دينه القويم وإقامة شريعته الغراء. ذلك أن الله تعالى سيبعث الإمام المهدي والمسيح الموعود لإقامة نظام عالمي جديد. وقد أخبر رسول اللهﷺ عن زمن بعثة هذا المهدي والمسيح وعن الآيات التى ستنزل من السماء، والآيات المتدفقة في الأرض التى سيظهرها الله إثباتا لصدقه عليه السلام.

تقدم مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية للناس بدعواه بناءً على الوحي الذى تلقاه من الله سبحانه أنه المسيح الموعود والمهدي ونبي من أمة المصطفىﷺ الذى سماه بنفسه نبيا أربع مرات في حديث في صحيح مسلم. إن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية دعا الناس للبيعة على يده والانضمام إلى جماعته التى أسسها امتثالا لأمر الله سُبحانه.

في اليوم الأول من ديسمبر ١٨٨٨م أعلن حضرته قائلاً:

«أريد أن أبلغ رسالة أخرى إلى الناس عامة وإلى إخوانى المسلمين خاصة، وهي أنّى أُمرت أن آخذ البيعة من الباحثين عن الحق لينالوا الإيمان الصادق والطهارة الإيمانية الحقة، والهداية إلى سبيل محبة الله تعالى، ويتمكنوا من ترك حياة الخبث والكسل والخيانة. فالذين يجدون في أنفسهم القدرة على ذلك فعليهم أن يأتونى، فإنى مشفق عليهم. وسوف أحاول لأخفف عنهم إصرهم. ولسوف يبارك الله فيهم بسبب التفاتي إليهم ودعائي لهم، بشرط أن يكونوا مستعدين بكل القلب والروح للعمل بجميع أوامر الله سبحانه. هذا أمر من الله، وها أنا قد بلغته اليوم لكم.

ومما أوحى الله إليّ في هذا الشأن:

«وإذا عزمتَ فتوكل على الله. وَاصنَعِ الفُلكَ بأعيننا ووحينا. الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم» (١).

وفي اليوم الثاني عشر من يناير عام ١٨٨٩م قام حضرته بإعلان شرائط البيعة العشرة للانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية. وهذه الشرائط العشرة تصور الإسلام الحقيقي تصويرا رائعا، صادقا وجذّابا. إذا أراد أحدٌ أن يعرف حقيقة الإسلام

وإزالة جميع الشبهات وأراد أن يعرف الإسلام الذى يعمل به الأحمديون المسلمون الحقيقيون، فسيجد في هذه الشروط العشرة له جوابًا شاملاً. وروعة هذا الجواب تكمن في أنه لا يتحدث عن الإسلام فقط، بل أيضا يخبرنا كيف يطبقه المسلمون في حياتهم.

هل لي أن أقترح عليكم أنه بدلاً من أن نحتفظ بهذه الشروط العشرة في خلفية أولويات حياتنا، وبدلا من أن نضعها فوق الرفوف أو نعلقها على الجدران أو نكنزها في الخزائن مصونة سالمة، تعالوا بنا نُخرجها ونعرض على العالم ميثاقنا العظيم. وبدلا من أن نتردد في بيانها للآخرين دعونا نبرزها كي يقرأها كل إنسان، والأهم من ذلك أن نراها مطبقةً في حياتنا. ولقد أعلن حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية في اليوم الرابع من شهر مارس عام ١٨٨٩ م قائلا:

«إنما يريد الله أن يقيم جماعة من المتقين لإظهار عظمته وجلاله، وأنه سوف يجعل هذه الجماعة تزداد وتزدهر لإنشاء محبة الله سبحانه والتقوى والصفاء، الورع والسلام وحسن الطوية بين الناس، وستتكون هذه الجماعة من الذين وهبوا حياتهم لله تعالى. إنه سيؤيدهم بروح منه ويبارك فيهم ويطهرهم ويضاعف عددهم فوق العادة حسب وعده إياهم. وسوف يدخل ألوف من الصادقين في جماعته وسوف يراعيهم بنفسه ويجعل الجماعة تنمو وتزدهر حتى تتعجب الدنيا من كثرة عددها وتقدمها الخارق. وتصبح الجماعة منارًا عاليًا حتى تنوَّر أقصى أنحاء العالم. ويصبح أبناء الجماعة نموذجًا عاليًا للبركات السماوية، ويتفوق أتباعي الصادقون على الآخرين. ولا يزال يظهر منهم إلى يوم القيامة أناس يصطفيهم الله تعالى لكل مضمار الحياة. هذا حكم الله وهو يفعل ما يُريد. فالحمد لله أولا وآخرا وظاهرًا وباطنًا. أسلمنا له، هو مولانا في الدنيا والآخرة. نعم المولى ونعم النصير». (٢)

مطلع عهد جديد

إن يوم ٢٣ من شهر مارس عام ١٨٨٩ م يحمل أهمية خاصة في تاريخ الجماعة الأحمدية، إذ أمسك سيدنا الحاج نور الدين، الخادم الوفي المخلص بيد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام)، وردد بعده كلمات البيعة. في تلك اللحظة الميمونة قامت الجماعة الإسلامية بصفة رسمية في بلدة «لدهيانة»، الهند.

إشتعل مصباح إيمان سيدنا نور الدين بلمسه يد رجل خادم كامل لنبينا الكريمﷺ، ونوّر الإيمان البيئة كلها كما ينوّر المصباح الكهربائي ما حوله، بتطهير القلوب ومحو السيئات وإنشاء حب الله تعالى وحب الإنسانية فيها.

ثم جاء الآخرون الذين كانوا ينتظرون دورهم، فأسرعوا لإشعال مصابيح قلوبهم، وأخذت كلُّ لمسة يدٍ وكل عهد صادق وكل دقة قلب تقشع غيوم الظلام التى كانت مستولية على حياة المسلمين منذ قرون، من حيث أخلاقهم وفكرهم ودينهم؛ وأخذ الصدأ المتراكم على مرآة الإسلام يزول عنها شيئا فشيئا.

وهكذا بلغ نور بهاء الإسلام إلى أقصى أنحاء العالم، فعاد إلى تألّقه السالف بأمر من الله سبحانه بسبب التغير الواقع في القلوب وطهارة الأرواح والوحي الإلهي والعهد العظيم من الناس بين يدي الله القادر.

إن الجماعة الإسلامية الأحمدية تعتقد وتعمل بنفس الدين الذى عمل به رسولنا الكريمﷺ. إننا نعلن بصوت جهوري أن الجماعة الإسلامية الأحمدية تطبق نفس الإسلام الذى عمل به المسلمون في شوارع مكة من قبل. أولئك المسلمون الذين كانوا يعيشون تحت اضطهاد قاس لم يزل يزداد شدة وعنفًا. وكما أن الظالمين الطاعنين الكذابين فشلوا في وضع العراقيل في سبيل انتشار رسالة الله تعالى أول مرة كذلك فإن الجور والعنف ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية لن يزال خائبا خاسرًا.

إن الجماعة الإسلامية الأحمدية تبلغ نفس الرسالة التى بلّغها رسولنا الكريمﷺ وأحجار المعاندين وسباب الصعاليك في قرية الطائف تطارده. إنها تنشر وتنعش نفس الإسلام الذى كان في صدر سيدنا

بلال رضي الله عنه وهو تحت أثقال الألواح المحرقة الساحقة. الجماعة الإسلامية الأحمدية تردد نفس الكلمة وبنفس الأسلوب الذى اختاره سيدنا بلال رضي الله عنه لإعلان كلمة الشهادة بشفتيه الجافتين ولسانه اليابس. الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هي في الحقيقة إعلان الإسلام وإحياؤه وليست مجرد تحريك الشفاه كما يظن ملايين المسلمين. ولا يزال صدق الأحمديين وإيمانهم بالكلمة الطيبة يُختَبَرُ تحت أثقال الظلم الساحقة حيث يقومون بتضحية أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

وهل يُوجد على وجه البسيطة أحد يبلغ إيمانه بكلمة الشهادة قدرًا يجعله يُضحي بنفسه وممتلكاته وأولاده. إن للناس في أقطار العالم حرية تامة للإعلان عن كلمة الشهادة بدون أن يخافوا ظلمًا أو بلاء. ولكن المسلمين الأحمديين في باكستان يُطرحَون في السجون ويهانون ويجرون في الأسواق ويجلدون وتُسلب أموالهم ويقتلون عند ترديدهم نفس كلمة الشهادة.

إن الأمر يتطلب مجلدات كثيرة لبيان أي الجماعات صادقة في دعواها لتجديد الإسلام. فإذا كان الإسلام هو كلمة التوحيد فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية قد أثبتت بدون أي ريب أنها قد جددت الإسلام بأبنائها الذين ضحوا بأرواحهم لإعلاء كلمة التوحيد وكرامتها. وكذلك جميع القيم الإسلامية التى أقامها القرآن الكريم وعمل بها النبيﷺ وأصحابه الذين أحدثوا انقلابًا عظيمًا في المجتمع، أعادتها اليوم الجماعة الإسلامية الأحمدية وتمسكت بها.

وفي العصر الحاضر، وقد بلغ حب الدنيا منتهاه، لا يزال أبناء الجماعة الأحمدية يقومون بواجبهم لإقامة علاقة حية بالله سبحانه، حتى أنه يتكلم مع الإنسان كالصديق الحميم. وهذه العلامة المميزة للإسلام تختص اليوم بأفراد الجماعة من أهل التقوى والولاية أكثر من أي أحد آخر.

وكذلك أحيت الجماعة الإسلامية الأحمدية هذه العلامة الإسلامية المميزة بإسداء الخدمات إلى الإنسانية المعذبة ببذل تضحيات شخصية رائعة بجهود منظمة تنظيمًا محكمًا. لقد قامت الجماعة الإسلامية الأحمدية مرة أخرى بوضع مستوى عالمي لتوحيد بني آدم في انسجام ووئام، للتغلب على العوائق من جنس ولون ولغة. فالأحمديون من آسيا وأفريقيا وأروبا وأمريكا كلهم منخرطون في سلك الأخوة الإسلامية والاحترام المتبادل وعلى قدم المساواة كما لو كانوا أعضاء من أسرة واحدة.

ونظام الخلافة هو العلامة الإسلامية المميزة لصيانة بركات النبوة واستمرارها، أي تلاوة الآيات الإلهية وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية الأرواح بعد وفاة النبيﷺ. إن الجماعة الإسلامية الأحمدية أثبتت مرة أخرى أنها هي الجماعة الوحيدة التى تقوم بواجباتها نحو الخلافة الإسلامية الراشدة في أنحاء العالم. فكل الأحمديين رجالا ونساء مستعدون لتقديم أي نوع من التضحيات للحفاظ على نظام الخلافة.

وأخيرا أقول إن تحقيق حُلم إحياء الإسلام في الزمن الحاضر أمر مقدر من الله تعالى وسيتم من خلال الجماعة الإسلامية الأحمدية بإذن الله. وهذا ما وعده الله تعالى لرسولنا الكريمﷺ وأكدّه لسيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. ولكن يجب ألا نأخذ هذا الأمر مأخذ التسليم المطلق. هذا القدر سوف يتحقق على أية حال وبغض النظر عن مساعينا الشخصية. فلا يغرب عن البال أنه من سنة الله المستمرة أنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

الهوامش

(١) مجموعة إعلانات المجلد الأول، مطبعة الرقيم بلندن ١٩٨٦ م ص ٩٨)

(٢) مجموعة إعلانات، المجلد الأول، مطبعة الرقيم بلندن ١٩٨٦ م ص ١٨٨).

الفرصة الذهبية

بقلم: بشير أحمد أورشارد

تعريب: نادر الحصنى الحسني

قبل أربعة آلاف سنة مضت.. كابدت القبائل الإسرائيلية عناءً من ربقة الأسر في قبضة الفراعنة الحديدية، إذ استُخدموا لبناء الأهرامات التى تَقف اليوم كآثار خالدة لأولئك الحُكام. يُقال بأن مائة ألف رجل كدُّوا وعَرقوا لثلاثين سنة لبناء الهرم العظيم «خوفو». ندركَ من هنا مدى التعذيب والتسخير والعمل الشاق الذى بُذل في بناء هذه النصب التذكارية الهائلة.

إنّ مليونين وثلاث مائة ألف قطعة من الحجر تزن كل منها ٥٤ طنًا قد استعملت للبناء، بالإضافة إلى ٥٦ قطعة هائلة من الرُخام تزن الواحدة ٥٤ طنًا قد استعملت لسقف غرفة المدفن. وقد جُلبت هذه الأحجار من أماكن بعيدة جدًا.

هذه التسخير والاضطهاد كانت تفرضه عليهم العائلة المالكة، فيسومونهم سوء العذاب. ولكن ما يُنزله العباد من ظلم يُزيله الله. فبدأ الانحطاط ينخر في عظام الحضارة الفرعونية وحان زوال عهد قوتهم وجبروتهم. أما التحرر والنهضة في حياة الشعب الإسرائيلي فكانت تنتظر الأوان فقط لمشيئته تعالى.. فهي قريبة بمتناول اليد.

فأضفى الله على موسى حلة النبوة وأرسله إلى فرعون ﴿.. إذهَبْ إلى فرعون إنه طغى﴾، وأن يطلب منه إطلاق سراح بني إسرائيل: ﴿فَأتيَاهُ فقولا إنا رسولا ربك فأرسِلْ معنا بني إسرائيل وَلا تُعذِّبهم قد جئناك بآية من رَبك والسلم على من اتبع الهُدى﴾ (طه: ٤٩).

ولكن فرعون طغى وتكبر وأنكر بعثة رسول الله موسى. فثار عندئذ غضب الله، فأرسل عليهم مصائب عمت البلاد: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّلَ والضفادع والدمَ آيات مُفصَّلتٍ فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين﴾ (الأعراف: ١٣٤).

أسباب الموت والبلاء تلاحقت الواحدة تلو الأخرى حتى تقدم فرعون لطلب موسى مقهورًا مغلوبًا على أمره.. مترددًا يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى. وهكذا بدأت الهجرة العظيمة لبني إسرائيل من أرض مصر. ولأربعين سنة تاهوا على وجوههم مقيمين في الصحراء قبل أن يأذن الله لهم بدخول أرض الميعاد. وخلال ذلك الأمد جاء الوحي «بالقانون الإلهي» في صورة الوصايا. لقد عاش الإسرائيليون قبل ذلك في ربقة الأسر لمئات السنين، وبدا لهم المُستقبل الزاهر منذ ذلك اليوم، وأضفى الله عليهم بركاته ونعمائه وفتح لأعينهم طريق الخلاص.

وهنا يجب أن نتذكر جيدًا أن القانون الموسوي ليس بالقانون الكامل.. ولم ينزل للإنسانية كلها، بل هو خاص ببني إسرائيل، ولم يكن من المفروض أن يعُم ليُغطي حاجات الإسرائيليين على مدى الأزمان والعصور. لقد نزل ذلك القانون لهداية الإسرائيليين فقط.. وضمن المقتضيات الخاصة لذلك العصر. لذلك نجد أن بعض الوصايا تفتقر إلى الاعتدال، وتميل بطَبيعتها إلى أقصى التطرف. فنجدُ مثلاً: «لا تُشفقْ عينُك. نفس بنفس. عين بعين. سن بسن. يد بيد. رِجل برجل» (التثنية ١٩ :٢١)

بعد أربعة عشر قرنا بعث الله فيهم رسول الله عيسى عليه السلام. مع العلم أنه لم يأت بقانون جديد كما ورد في متى: ﴿لا تظنوا أنى جئت لأنقضَ الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقُض بل لأكمل. (إنجيل متى ٥: ١٧). فلم يأت سيدنا عيسى بقانون جديد، بل جاءهم عن طرف السماء بتعليم يتسم بالرفق واللين، لأن اليهود كانوا تشددوا في بعض الأمور وأساءوا في تطبيق بعض التعاليم. فكان ذلك ليُعدل من مذهبهم الانتقامي الظالم ومجافاتهم للعدالة في تفاسيرهم للقانون. فكانت تعاليم المسيح (عليه السلام) في هذا المجال تميل إلى الاتجاه المعاكس من اللّين والتسامح. ففي متى نجد: «سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكَم: لا تقاوموا الشر، بل

من لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضًا. (متى ٥ : ١٨ و١٩).

وكل من سيدنا موسى وسيدنا عيسى قدَّم الأنباء عن بعثة نبي يَعلو عليهم بالدرجة والمقام وسيأتي بالشريعة الكاملة، ألا وهو الرسول الأعظم محمدﷺ. فقد نزل عليه القرآن الكريم.. الشريعة الكاملة المثالية العالمية للإنسانية جمعاء على مدى العصور ومر الأجيال. ففي التثنية نجد: «أُقيمُ لَهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأَجعَل كلامي في فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمي أنا أُطالبه. (التثنية ١٨ : ١٨)

هذه النبوءة تشير إلى ظهور نبي مثيل لموسى وشبيه له.والميزة الكبرى لسيدنا موسى أنه نبي جاء بشريعة جديدة. ولذلك من الخطأ الظن أن هذه النبوة قد تحققت بمجيء سيدنا عيسى، لأنه بنفسه صرح «ما جئت لأنقُض الناموس.. بل لأُكمل». فما جاء ليُبدل قانون موسى.. وما جاء بقانون جديد. وكذلك صرَّح سيدنا عيسى عليه السلام.. بأنه لم يبلغ الحقائق الروحية اللازمة لتقدم الإنسان بعدد كامل، بل سوف تبلغ كمالها وتمامها فيما بعد حيث قال: إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تتحمَّلوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يُرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويُخبركم بأمور آتية. (يوحنا ١٦ : ١٢).

ذاك الذى سيأتي هو نفس النبي «من وسط إخوتهم مثلك» الذى أنبأ عنه سيدنا موسى. والنبوءة قطعا لا تشير إلى روح القدس الذى هو واحد من الثالوث في الآلهة المسيحية، بل تُشير إلى خير الخلق جميعًا محمدﷺ.

من جمال الإسلام أنه يقدم طريقًا معتدلا للسلوك، فنجد تعاليمه في الوسط.. لا تأخذ طريق تعليم سيدنا موسى في التشدد ولا تميلُ في الليونة والضعف إلى ما ذهبت إليه التعاليم المسيحية. فمثلا جاء في سورة الشورى: ﴿وجزاؤا سيئَةٍ سيئةٌ مثلها. فمن عفا وأصلَح فأجره على الله، إنه لا يُحب الظالمين﴾ (الشورى: ٤١)

الإسلام في تعاليمه لا يُصر على القصاص مقابل الإساءة، ولا يَفترض العفو بدون قيد أو شرط.. ففي كلاهما حل مرض. إذا كان العفو يؤدي إلى إصلاح المذنب وندمه وتوبته فالعفو هنا خير، والله يجازي عليه. وإذا تبين أن اتخاذ مثل هذا المقياس من الرحمة سيعتبر ضُعفا.. ويشجع المسيء على التمادي في غيّه.. فعندئذ يجب أن تُنزل به العقوبة المناسبة دون ظلم.

العقل الرزين

الإسلام من أشد الأديان سماحةً في العالم وأكثرها توسُعا في التفكير والتفهم لوجهات النظر المختلفة، وأبعدها عن التعصب والتحيز، وشريعته هي القانون الأزلي لكل عصر ولكل بيئة وللإنسانية جمعاء. يقود الإنسانَ في طريق الوسط والاعتدال، ونتيجة تعاليمه نجد أن عقل المسلم الحق متوازن.. يعمل بالروية والتأني. وإذا صَلَح العقل ونضج التفكير صلحت الأعمال، لأنها تصدر عن ميزان العقل.. فالإنسان إنما هو أفكاره، والجسم يصدع للعقل ويخضع له. فإذا قامت الأفكار الشيطانية في العقل خرجت في صورة عادات خبيثة.. وحياة جسدية منحلة. بينما الأفكار الطاهرة والصالحة تنعكس وتتبلور في عادات متأصلة.. طاهرة ونبيلة. وكذلك يتجلى العقل المتوازن عند المسلم الحق، فيتحلى بعادات كريمة، ويتمتع بالسيطرة الكاملة على أفعاله الجسدية.

المسلم الحق يجب أن يكون واسع التفكير.. وليّنًا في التجاوب للأفكار الغريبة عنه. فالتعصب والجمود وانصباب التفكير على ما نقله الآباء والأجداد، فَسُد أو صلُح، ليس من ميزات العقل الرزين. وهذه للأسف هي الحالة الفكرية للسواد الأعظم من المسلمين اليوم.

الإسلام هو إكسير الحياة الخالدة، ولكن انصباب انتباه المسلمين وتكالبهم على الحياة المادية أدى إلى فشلهم في أن يتشربوا الأسس النورانية لعقيدتهم ودينهم. فهم لا يتمتعون بذلك الحبور وتلك الغبطة التى ينعم بها أصحاب العقول التى تبحث عن الحقيقة بدون تحيز.. ولا بذلك السلام الذى ينزل السكينة على قلوب الذين لا يعرفون التعصب.. فتتجرد عواطفهم فقط للحب والوئام. وهذا القصور الفكري يعم اليوم المسلمين عامة، ونجده في أهل العلم ورجال الدين أيضا للأسف الشديد.

العقل المتَّزن أثمن من أندر اللآلئ وأفخم الجواهر. فالرزانة والهدوء يجعل صاحبه يعد لكل أمر عدته، ويحسب للنتائج حسابه، ولا يجنح إلى النقمة، ولا تثور فيه العواطف فتطغى، ولا يحيد عن الصواب، بل على النقيض فهو في حزم وجزم.. وسيطرة على جسده وأعصابه. إنه مصدر مغناطيسية قوية تجذب الناس من حوله. ومن ذا الذى لا يميل ولا ينجذب إلى العقل الهادي المتفاعل النشيط. فصاحبه رابط الجأش في السراء والضراء، لا تُزعزعه الخطوب ويروض النفس على التحمل والصمود. تجد وجهه متهللاً يشعُّ من سماته النور.

كان هذا هو شأن حضرة مرزا غلام أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام)، فهو خير مثال في عصرنا هذا للعقل الرزين ولمزاج أولياء

الله. وصفه أحد تلامذته المقربين مولانا عبد الكريم السيالكوتي (رضي الله عنه):

«قال في أحد الأيام: عندي من قوة السيطرة والتملك لرغباتي ونوازع النفس حظ عظيم، فقد جعل الله هذه النفس خاضعة لإرادتي كل الخضوع.. بحيث لو أن رجلاً تمادى في إهانتي وبسط لسانه أمامي في قذفي وذمي سنة كاملة، فسينتهي الأمر به إلى الخجل وسيعرف بفشله في إثارة نفسي استجابة لسباب بأي صورة.

فثباته على المبدأ وقوة إيمانه وإرادته هو كثبات الأنبياء (سلام الله عليهم أجمعين). فأنواع التهديد وحتى مشاهد الرعب لا يمكن أن تحرك به ساكنا ولا تكاد تترك في نفسه أثرا يُذكر. ليس من حادث فظيع أو مصيبة مؤلمة تستطيع أن تلفت انتباهه إلا لبرهة ريثما يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ولن تشغله عن واجباته وما انكبّ على إنجازه ووطن النفس على إنهائه».

وورد في شهادة الآخرين من أصحابه رضوان الله عليهم.. أن ضبط النفس والسيطرة الكاملة للعقل ولين المزاج، ولطف المعشر.. كانت صفاته الدائمة في الصحة والمرض.. مصداقا لقول القرآن الكريم: ﴿يُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيٰوة الدنيا وفي الآخرة﴾ (إبراهيم. ٢٨).

فذلك التثبيت من الله هو ما نراه في خلق سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام) واتِّزانه في الطبع والقول والعمل، وقد ناله بالتأسي بالقدوة العظمى لسيده وسيدنا محمد المصطفىﷺ. الرجل ذو الكمال الذى لا يأبه بنيران الدنيا.. من فَشل وسوء حظ وتعب وأعباء هو نفس المؤمن الذى خاطبته جهنم بقولها: مُرّ بسلام، فإن أنوارك قد أطفأت ناري.

والرزانة كل الرزانة في أن نفتح المجال للأفكار الجديدة. والعقل المتردد الذى يتأرجح دائمًا في سُلم الأنغام بين أقصى النهاية وأدنى البداية ليس بالرزين حقًا. فالعقل الرزين على النقيض.. يُشرف على الأمور ويزينُها من مَقَرٍّ ثابتٍ لا يتزَعزَع.

فالمتوحش الذى يهتَاجُ ويغضب لأدنى الأمور لا يمكن أن يكون رزينًا.. والمتمدن الذى يستسلم لجماح الغضب وتجتاحه غرائز إنسان ما قبل التاريخ، وتتملك مجامع نفسه، ويفصل بين حالتيه العقليتين خيْط واهٍ، وقليل من الضغط يبدد رداء مدنيته وثقافته، ويتسرب ذلك الوقار كالماء يندفع من شق في السد المنيع.. وتأخذ الدوافع الغريزية بجوانح النفس.. فتخرج إلى السطح تلك اللعنات الموروثة من القسوة والعنف وتصرف العجماوات.. مثل هذا الشخص ليس من الرزانة في شيء.

بذور الإنسان تحمل بالوراثة الصفاتِ الفيزيائية والنفسية لأجداده عبر التاريخ.. وفيها المزايا التى ستنتقل إلى أبنائه في المستقبل على مرّ العصور. تلك البذور تحمل الدوافع لتصرفات آبائه ملونة بتصرفات آبائهم وأجدادهم.. أو بالأصح هناك سلسلة متواصلة من البذور تحمل الصفات المميزة لهؤلاء الأجداد إلى ما قبل التاريخ حيث اصطبغت بالوحشية والقوة.. وبقيت هذه الصفات مخزونة في نطفهم.. وستبقى طوال العصور الإنسانية المقبلة. والعقل الرزين هو الملجأ الوحيد للسيطرة على مظاهرها الفيزيائية الهوجاء.

هنا معلم على حظ من الرزانة والوقار.. قضى عمره في تقديم النُصح والإرشاد.. يخدم الله والإنسانية، وتأثيره على الآخرين في حياته الصالحة الطيبة وشخصيته الجذابة يُحاط بالإكبار والإعجاب. وبينما كان في منزله يومًا يُعد خطبةً أثار الأطفال صخبًا وضجيجًا.. فتبدَّدت الأفكار في رأسه عبر الرياح.. وتعقدت سمات وجهه، وتصلبت في تعابير المصاب بالجنون. فأصدر لهم الأمر بالتزام الهدوء. فساد الصمت لبرهة. وما أن عاد منكبا على تحضير خطابه حتى تصاعدت أصوات الضجيج ثانيةً. فكان ذلك أكثر من احتماله، فوقف فجأةً على قدميه، وفي عينيه لهيب الجمر.. وألقى كفه بثقلها على قفا طفل، فأرسله ينقلب على الأرض.. وانطلقت من لسانه كلمات ألقت الذعر في نفس الزوجة. فهُنا فقد الواعظ حلمه ورزانته، والغرائز الوحشية قد ثارت واستولت على العقل بكامله.. وصار مظهرًا طبيعيا من طبائع السُلالة القديمة للإنسان من أهل الغابات والكهوف.

الصفات الوحشية تنعكس بصورة أكبر أو أصغر في تسع وتسعين في المئة من تصرفات الناس اليوم. وغابات الحياة الأساسية من التعايش السلمي.. تتطلب منا أن لا نترُك لهذه الدوافع الغريزية لتصبح ثورات وحشية. فصاحب العقل الرزين يملك مقاليد الأمور في نفسه في ضبط حازم. وهذه مناسبة جيدة لإيراد المثل القائل: «الذى لا يملك زمام نفسه لا يملك زمام الآخرين».

تبديل جذري يمكن أن يأخذ مجراه في حياة الإنسان.. بإبقاء الصفات والمزايا لرجال الله في فكره ونُصب عينيه على الدوام..يتخذهم قدوةً ويحتذي مثالهم. ولو أن الواعظ الذى ثار وآذى الطفل كان معتادًا على أن يُركز فكره ويُصور فيه مثالاً لحكمة رجال الله الصالحين لما تعثر ولما فقد أعصابه وظل في سيطرة كاملة على نفسه.

كان حضرة مرزا غلام أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام) هادئ الطبع منبسط الأسارير عند ضجيج الأطفال في منزله مهما بلغ. كان طبعه الهادئ مثيرًا للعجب، وكان عقله الحاضر على درجة

فائقة من الصفاء، وكان من السيطرة الذهنية بحيث أن الصخب والضجيج مهما بلغ فلن يبدل من مجرى أفكاره، ولن يفقده التركيز على الموضوع في مجال البحث. وكان من الحكمة والرزانة بحيث لا يبدو عليه أي أثر للانزعاج، وكأنه لا يشعر بما يدور من حوله أثناء الصخب والضجيج. وهذه الحالة الفكرية من هدوء النفس واطمئنان القلب هي ما يدعو لأجله عباد الله الصالحين: «ربنا أفرِغ علينا صبرًا»، وأيضا: «رب اشرح لي صدري».

يقول مولانا عبد الكريم: «لقد شاهدت سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام مُنكبًا على كتابة مواضيع هي من الصعوبة بمكان. يصوغ مقطوعات عديمة النظير في الأدب العربي، في وسط عاصفة من الأصوات المزعجة والصخب الشديد. حوله أطفال طائشون ونساء ذوات عقل بسيط في شجار محتدم. في وسط الصراخ والعويل، وأصوات الغضب وعبث الأطفال وجدته يتابع الكتابة وكأنه في معتكف أو في مغارة نائية بعيدًا عن العباد. في مثل ذلك الجو من حوله أنهى معظم كتاباته التى ليس لها نظير باللغة العربية والفارسية والأردية».

ليس هناك شك بأن المسيح الموعود (عليه السلام) كان على حظ عظيم من الوقار.. أنعم الله عليه واجتباه بقربه.. فكانت تنعكس عليه صفاته العُليا وأسماؤه الحُسنى، وتجلت عليه وظهرت به تلك المزايا والفضائل والأخلاق الكريمة بصورة لم تظهر في إنسان بعد متبوعه سيدنا محمد المصطفى ﷺ الذى فاق الناس جميعًا خَلقًا وخُلقًا . لقد اختاره الله سبحانه، فأدبّه وطهره، ونقّى قلبه من آثار الآثام، وجنبه مواطئ الزلل، وبث فيه من روحه نسائم الجنة.

ومن شعره (عليه السلام):

كادت تعفّيني ضلالا ... تّ فأدركنـــي الهُدى
لله حمد ثم حمـــــد ... قـد عرفنـــا المقتدى
يا صـــاح إن الله قد ... أعطى لنـــا هذا جَدى
هي ليلةُ القدر التى ... تعطي نعيـــمًا مُخلّدا

في قدرة الإنسان، ولا شك ، أن يتقدم إلى حد ما بمجهوده الخاص، ولكنه لن يبلغ الدرجات الروحانية العالية والكمال الإنساني الفَذ بمجرد المجهود الشخصي، ما لم تتداركه عناية الله، فيُكلل جهوده وجهاده بالنصر.. ومساعيه بالنجاح.. ويُضفي عيه رداء الطهارة والنقاء. ولو لم تتداركه رحمة الله.. فترفعه إلى السماء الدنيوية التى ندعوها بجنة الأرض لأدرك أن نقاءه تشوبه الشوائب مهما اشرأب ورنا وتمنى تلك الرفعة الروحية على الأرض.. فيجب أن يعلم أن سعيه سوف يُرى.. وأنه لن يبغ مقام أولياء الله ما لم يَفُز بذلك المقام، ولن ينال الوصال الإلهي ولن ينعم بتلك الجنة من طمأنينة النفس وراحة البال.. إلا إذا خاف مقام ربه.. ونهى النفس عن الهوى.. وأطاع وخضع وعاش حياة الصالحين. وعندئذ فقط: «فإن الجنة هي المأوى».

ونجد في سورة الليل: ﴿إن علينا للهُدى وإن لنا للآخرة والأولى﴾ (الآية: ١٣ و١٤).

لقد كلأ الله سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام) بالحماية والرعاية، وتولاه برحمته ووالاه بنعمة القرب منه، وعن هذه النعمة يكتب حضرته عليه السلام فيقول ما معناه:

«كثيرة هي القيود والسلاسل التى تقيد الإنسان، وجهوده الشخصية مهما بلغت من الشدة في السعي ومهما تحمل من العنت، فهي وحدها ليست بكافية لتحريره من قيوده. يَود لو أنه نجى من ربقة المعاصي.. وأصبح طاهرًا نقيًا، ولكن جهوده بدون جدوى ما لم يتداركه الله برحمته.. ويمُد إليه يد العون. وأن يترفع الإنسان عن المعاصي كُليا ويحوز بالنفس المطمئنة، فذلك يجري فقط بقدرة القادر. لا توجد قوة أخرى على الأرض أو في السماء تُنجيه من العثرات.»

إن أعلى درجات التقدم في المجال الروحي يمكن بلوغها.. عندما تشتد الرغبة إليها.. وتحتدم الإرادة لنوالها. وحتى هؤلاء الذين يعيشون في الدرك الأسفل من درجات الجهل والضعة.. في متناولهم الفرصة لبلوغ ذلك النبع النوراني الذى تنغمس فيه الروح متى انبَلج في عقولهم ضياء الحق. فما من قوة تحجزهم عن تلك النعمة العظيمة.. حتى أنهم قد يسبقون أساتذتهم على ذلك الصراط المستقيم. يحتوي التاريخ على كثير من الأمثلة لهؤلاء الأبدال. رجال من أشد أعداء شريعة الله ورسله تفتحت إمكانياتهم الروحية فجأة فيما بعد، فاستيقظوا للحق، وجاهدوا. تداركتهم أحضان الله على حين غرة فتبدلت بهم الحياة من الحضيض إلى النعيم. ومع أننا نقوم ضد التطرف من أدنى البداية إلى أقصى النهاية.. إلا أنه لا حد لمدى ما نذهب إليه من حب الله ورسوله. فذلك النوع من التطرف استثناء.

ليكن من المفهوم أن الرغبة في التفّوق على الأنداد بالمكارم والفضائل هي ميول مشجعة، وعدم وجودها ضعف في القلوب. وقد قال القرآن الكريم:﴿ولكُل وجهةٌ هو مُولّيها فاستبِقوا الخيرات﴾ (البقرة: ١٤٩). في الشؤون الدنيوية يوجد مبدأ يَقود الرجال إلى عتبة النجاح أساسه تلك النيران المشتعلة من الرغبات وتعقُّب المآرب بعزيمة وروح التبارى والتزاحم والتحدي والسباق لبلوغ الغايات. ونجد القانون نفسه يسري في مجال التسابق إلى المراتب الروحية. مستر هنري فورد الذى أسس شركة صنع السيارات المعروفة باسمه سنة ١٩٠٣ يُعتبر من أقوى أقطاب الصناعة منذ

وجدت، ومع ذلك لم يتعد تعليمه الابتدائي. قضى سنيه المبكرة في الفقر. ترك الدراسة في سن الخامسة عشرة، وعمل تحت التدريب في ورشة للآلات. كان يعمل عشر ساعات في اليوم بأجر دولارين ونصف أسبوعيا. وسكنه وحده كان يُكلف ثلاث دولارات ونصف أسبوعيًا. فليُغطي الفرق كان يعمل مساءً من السابعة إلى الحادية عشرة في محل للمجوهرات. هذه كانت البداية المتواضعة لحياة مستر فورد وشركة السيارات التى بناها سنة ١٩٠٣، والتى قد أتَمَّت صنع ٢٨ مليون سيارة في مطلع سنة ١٩٤٠. وعندما تُوفي سنة ١٩٤٧ كانت أملاكه الشخصية تقدر بمئتين وخمسين مليون دولار.

إذا كان بقدرة الإنسان أن ينتشل نفسه من قرار الفقر والضعة إلى ذُرى الثروة والمكانة والمجد الدنيوي، فكذلك باستطاعته أن ينبعث من موته الروحاني وينفض عنه حياته الحيوانية.. ويسمو إلى منازل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشُهداء والصالحين. الوحش الإنساني يستطيع أن يصعد إلى منازل أولياء الله وينعم بصحبتهم «وحَسُن أولئك رفيقا».

ولا تحسبَنَّ أن المتوحشين يعيشون فقط في الغابات والأدغال. فكم من وحش في ثوب الآدميين يكمن في الأزقة والشوارع، وآلاف منهم اليوم يعيشون في المدن الكبيرة. وقليل من عامة البشر من لا تركبه بين الفينة والأخرى تلك النوازع الوحشية الموروثة من آثار الأجداد أهل الكهوف والغابات. هذه الميول الشاذة والانحرافية الدفينة بداخل النفس تطفو على السطح وتنبعث من الموت في حياة هؤلاء البؤساء الذين ظلموا أنفسهم، وتجنبوا طريق الصالحين.

لا مكان للتقدم للذين لا يعقلون، وفي الجهالة سادرون.. ما داموا لا يبذلون الجهد في ردع أنفسهم، ولا يملكون زمامها ولا ينهونها عن الهوى، ولا ينتهون عما يقدمونه من الأعذار بأنهم عبيد لطبائعهم الجائحة.

رُب رجل في حالة ثورة الأعصاب وقلة الصبر حاول أصدقاؤه أن ينتحلوا لضعفه الأعذار بقولهم: هذه هي طبيعته، لا شئ يمكن أن يتبدل فيها. ولكن لا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الزعم. إذا صدق الإنسان في قصده لإصلاح نفسه وتقدمها في مراحل الحياة وفي صقلها الأخلاقي.. فلا شيء يقف في طريقه قطعيًا.

طلاب علم النفس في دراسة التصرفات العقلية يعلمون أن فن التفكير الإيجابي يمكِّن الإنسان ذا الأفعال السيئة أن يتبدل إلى إنسان فاضل على حظ من مكارم الأخلاق. الحقيقة أن قيمة الإنسان تكون بمدى رفعة تفكيره وسمو مقاصده. فالرجل الذى ينشر الأشواك في طريقه ويعكر صفو نفسه وصفو حياة الآخرين من حوله بطبعه الحاد المتحفز للشر، هو نفسه يملك القدرة الداخلية لأن يبدل من ذاته، فيتحول إلى إنسان هادئ ذي مزاج حلو وخلق رائق. والقرآن الكريم يقول: ﴿وأنْ ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى﴾ (النجم: ٤٠ و٤١). إذا ترك نفسه تنساق في تيار الحياة بدون أن يأخذها بيد حازمة فيلزم النفس حدها.. فهو على ما هو.. لأنه لا يبذل الجُهد في الطريق الصحيح.. ولا ينفُض عن نفسه الأغلال.

الحياة ساحة معركة.. كل منا يستطيع فيها أن يكون القائد لمصيره ولمجرى مستقبله. فإذا طلب المعونة من الله كان له النصرُ المؤثل.

الإسلام طريق السلام. يقود الإنسان إلى الصراط المستقيم، ويضيء قلبه بنور الإيمان. فالمسلم الحق نراه مشحونا بالقدرة والجاذبية..يستهوي قلوب الناس بخلقه السمح. فهو المثال للرجل ذي الطبع المتوازن والعقل الرزين.

لا يكفي أن يكون المسلم مُحمَّلاً بصلابة الأخلاق والروح الإسلامية، بل يجب أن يُعبر عنها بأساليب مضبوطة ومتزنة. فالمسلم الغيور الذى يأخذ به الحماس.. فينطلق في الحديث مستمرًا بدون توقف، وليست عنده خصال المُستمع الصبور، هو خارج عن الموضوع، ولا يُحقق من غاياته شيئا. وهكذا المدافع عن الإسلام الذى يبدأ بالتذمر والتأفف تجاه نقد الخصوم، وتتوتر منه الأعصاب لمجرد المعارضة ولا يقبل النقد.. لا يُحقق من غاية.

وضمن هؤلاء أيضا الخطباء على المنابر والواعظون في المحافل الذين يُخاطبون الجموع بعبارات منمقة فيها من ذقعات الحماسة أكثر مما فيها من المعاني.. أحاديث فارغة لا تؤدي إلى غاية.

وهذه صور تمثيلية أقدّمها قد كُتبت خصيصًا لتوقظ الفكر إلى جمال التوازن والتناسب والتوقيت في مرافق الحياة من حولنا.

الاتزان في الطبيعة

الأرض كوكب تابع للمجموعة الشمسية، تنطلق على مدارها حول الشمس بسرعة ثمانية عشر ميلا ونصف في الثانية. فما هي القوة التى تُبقيها ثابتة في مدارها؟ هي في الحقيقة نفس السرعة المعينة بالدقة بحيث تُولد قوة طاردة.. معادلة تمامًا لجاذبية الشمس وللجاذبيات الثانوية للكواكب من حولها! إذا نقصت سرعتها سقطت في جاذبية الشمس والتهبت وانتهت الحياة فيها. ولو زادت سرعتها لانطلقت خارجة عن مدارها ولاختفت في مجاهل الفضاء، ولَقُضي على الحياة فيها لبعدها عن أشعة الشمس. فالأرض في مدارها في مركز متزن.. أيّ تغيير فيه يُحطم الحياة.

الاتزان يَلاحظ في كل حركة من حركات هذه السفن الضخمة ذات الحمولات المذهلة، منذ خروجها من مينائها عابرة البحار حتى بلوغها مقصدها حيث تنقل حمولتها.

المرسى يرفع.. والحبال المثبّتة تُفك عقودها وتُزال. ثم يعلو هدير المُحرك في أعماقها وباستمرار بطيء تتحرك مبتعدة عن الميناء، فتنحدر في الممر المائي متجهة إلى عرض البحار. المشاهدون من الميناء أو القرويون على شاطئ البحر تَراهم يُحدقونها بعيون مشدوهة ملؤها الإعجاب وهي تنزلق على صفحات الماء الزجاجية الزرقاء بصمت وسهولة عجيبة. ما يدفعها إلا وجود تلك القوة الخفية التى لا توصف والاستجابة في الحركة بما يتناسب معها. والآن وقد أصبحت في عرض المحيط تعلوها السماء الدكناء مُلبدة بالغيوم، وتتوسط حدود الآفاق، ليس حولها إلا الماء والسماء، تلعب بها الأمواج وتتضارب على جوانبها، ويتطاير الماء فيرش الأعالي والسطح، إلا أن السفينة الفخمة تشق عباب الماء ببطء واستمرار متقدمة إلى غايتها، لا تأبه بالعوائق التى يضعها البحر الغاشم في طريقها، ويستمر مسيرُها وتنظيم سرعتها. وداخل السفينة يعم الهدوء وتسود السكينة. وأخيرا تبدو معالم الأرض على بعد، ثم تقترب فيتبين الميناء، وتتجه السفينة إليه، ويهرع إليها قارب للتوجيه، يسعى على أمواج متلاطمة، ويُرسَل من ظهرها سلم من الحبال ليصعد عليه القبطان، فيقودها عبر الميناء. وبينما تختال إمبراطورة البحر إلى مرساها.. تُعلن ساعة الكنيسة القريبة وصولها بالضبط على موعدها.

القاطرة القوية الهائلة تقف في انتظار الإشارة لتسحب وراءها الاثنى عشر من العربات الحديدية خارج المحطة. الآن صدرت الإشارة تُعلن بدء المسير. فاستجاب السائق بأصوات من الصفير، واندفعت القاطرة إلى الأمام ببطء، وظهرت الحركة في المكابس تعلو وتنخفض وتتحول على العجلات الفولاذية إلى حركة دائرية، وعلت نفخات البخار المضغوط كرجل يلهث، وبدأت السرعة تتزايد ببطء.. وبتدريج منتظم دبّت على السكة الحديدية بتوازن عجيب.. لا تهتز ولا ترتج.. ولا يضيع من القوى الموجّهة إليها شيء. فالفائض من القدرة الذى لا يعمل لتحريكها.. يوجّه إلى زيادة سرعتها بالتدريج. وبوقت لا يُذكر نراها تترك المدينة من ورائها، وتجدّ سعيا عبر الوديان والسهول، وركابها في الداخل لا يشعرون بأي إزعاج، بل يجدون الحركة اللطيفة الناعمة تُهلّلُ لهم فيشعرون بالنُعاس.

تلك من عجائب القوى المكانيكية التى تفرض على الحركة سيطرة كاملة، وتتحكم في سرعتها. والسر في التناسق والتلائم في تنظيم القوى يعود إلى موضوع الاتزان.

الصبر من التعاليم الأساسية للإسلام، فهو يتطلب من المسلم ربط الجأش والاعتدال والتوازن في العواطف والتغلب على الرغبات والنوازع بشكل مُستمر ودائم. وهذا القرآن الكريم يوجهنا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبِروا وصابِروا ورابِطوا واتقوا الله لعلكم تُفلحون﴾ (آل عمران: ٢٠١)

نبي الإسلام محمدﷺ.. لم يترك أبدًا للعواطف المناوئة أن تأخذ بزمام نفسه. نجده رابط الجأش في كل المناسبات. كان ذا لباقة وذوق حتى في طفولته. كان على الرغم من يُتْمه منبسطَ الأسارير راضيا بحياته.. صبورا، لا يتأفف وَلا يتذمّر. فكان مدة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التى يشتغل بها الأطفال عادة، كما روت «أم أيمن» حاضنته. فكان إذا أقبل وقت الأكل جاء الأولاد يتخطفون.. وهو قانع بما سييسّره الله له.

وفيما بعد عند هجرته برفقة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعندما التجأ معه إلى غار ثور، بكي سيدنا الصديق خوفًا على محمد وعلى ضياع المسلمين بضياعه لما رأى الكفار واقفين بمدخل الغار.. فأجابه الرسول(ﷺ) بهدوء: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾، وها هو القرآن ينقل إلينا خبرهما ﴿إلا تنصُروه فقد نصره الله إذ أخرجَه الذين كفروا ثانيَ اثنين إذ هُما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا. فأنزَلَ الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تَرَوها﴾ (التوبة: ٤٠)

وفي مناسبة أخرى كان الرسول الأعظم نائمًا دونما حراسة.. واستيقظ ليجد أحد أعدائه مشهرًا السيف فوق رأسه، وقال له هازئًا ومهددًا، وقد ظن أنه ظفر به: من يمنعك مني الآن؟ فأجاب الرسولﷺ ببساطة وهُدوء: الله. فدهش الرجل لثقته البالغة بالله والنفس المطمئنة التى لا يُعكر صفوها الأحداث. فسقط السيف من يديه.

الأسى تحت وطأة الكارثة يتلاعب بالشعور ويُحدث انفجارًا في تيار العواطف، ولكن رسول الله كان عند وصية القرآن الكريم: «لا تفرحوا بما آتاكُم.. ولا تحزَنوا على ما فاتَكم». مرَّ الرسولﷺ يومًا بامرأة يعلو عويلُها لفَقد طفلها، فمنعها بلُطف، فأجابت: لأنت أدْرى بمصيبتي وآلام قلبي؟ لو فقدتَ عرفت الحزن. فقالﷺ: «لقد فقدت سبعة»، ومضى في طريقه.

ليس الإسلام بالدين المتطرف ولا بالصارم، ولكنه دين الاعتدال والتوسط. والمُسلم المُلتزم لدينه يحيط نفسه بالنُبل والوفاء، ولا يميل إلى الشطط، ولا يتعدى الحدود في تصرفاته.

أنباء وآراء

الفتاوى السياحية !

بقلم: أحمد محمود كريمة

مدرس مساعد الشريعة الإسلامية
بالدراسات الإسلامية والعربية

نشرت الصحف الحكومية المصرية الصادرة صباح يوم ٢٣ من نوفمبر سنة ١٩٩٣ م ملخصًا لأقوال نسبتها إلى فضيلة مفتي الجمهورية -حفظه الله تعالى- أمام أعضاء لجنة الثقافة والإعلام والسياحة بمجلس الشعب الموقر، وتضمن الملخص عدة نقاط تتعلق بالسياحة والسائحين منها:

١. أن السياحة حلال.
٢. وجوب تأمين السائحين.
٣. أن الدخل السياحي حلال.
٤. مشروعية استيراد الخمور وتقديمها للسائحين ومشروعية صالات اليسر بالفنادق والنوادي.
٥. عدم إقحام الدين في أمور السياحة.

هذا كلامه الذي قرأناه فيما خطه السادة الصحفيون بأقلامهم في صحفهم كالذي كتبه السيد عمرو الخياط في جريدة "الأخبار" الصادرة في التاريخ سالف الذكر.

وإنني أستميح القارئ عذرًا أن أخط بقلمي عدة سطور أساهم بها في الدفاع عن «الأحكام الفقهية الشرعية» التي يراد لها «الطمس» و«الاهتراء» و«الافتراء»!!

ثم أنبه على أنني بهذا لا أتناول شخص فضيلة المفتي -حفظه الله تعالى- فقد تعلمنا وما زلنا أن لحوم العلماء مسمومة! ثم إنني من الظانين الخير به، وما تَعَوَّدنا الافتياتَ على أولي الأمر فينا من أهل علم شرعي ومن أهل حكم، ولن نمارس ذلك ما حيينا، عملاً بأحكام ومقاصد الشريعة.

بيد أنّ ما نسب إلى فضيلته -حفظه الله تعالى- منه ما يصطدم بالنصوص الشرعية وما ذهب إليه أصحاب المذاهب الفقهية المعتمدة. وإنني في مقام الاستئذان لمحاولة إبراز تلك الأمور من الوجهة الفقهية الشرعية لا من الوجهة الإعلامية، ولقصد إرضاء الخالق - سبحانه وتعالى- لا لإرضاء المخلوق مهما كان وضعه إذا علم هذا.

فأقول والله - جل شأنه - المستعان:

أولاً: القول بأنّ السياحة حلال فيه نظر. فالسياحة من حيث الأصل للمسلم وغير المسلم مباحة، وذلك هو الوصف الشرعي الدقيق لها، والأصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿قُل سيرُوا في الأرض فانظُروا كيف بدأ الخَلقَ ثم الله يُنشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيءٍ قدير﴾ (العنكبوت: ٢٠)

والسياحة كتصرف من التصرفات قد تعتريها الحرمة إذا كانت من مسلمين في ارتكاب معاصي واقتراف آثام، وقد تكون حرامًا إذا كان في إعدادها محظورات شرعية واضحة، وتكون جائزة لغير المسلمين وفق معتقداتهم، وتكون جائزة في ديار المسلمين إذا كانت التصرفات فيها من مسلمين وغير مسلمين تتفق والتشريع الإسلامي في المعاملات الشرعية من بيوع وأطعمة وأشربة وسلوكيات؛ لأن ديار المسلمين يجب أن يعزّ فيها شرع الله - تعالى- ولا تُمتهن فيها شريعته ولا يفتات على أحكامها؛ لأن الدولة هي التي تطوّع وتنقاد للشريعة الإسلامية وليست الشريعة الإسلامية التي تطوّع لأهواء البشر ومصالح فئة من البشر!!

ثانيا: القول بوجوب تأمين السائحين قول شرعي سديد حيث أجمع أهل العلم قاطبة على وجوب بذل الأمان للسائحين متى صدر هذا الأمان من أي فرد، وأولى لو كان من هيئة كالسفارات والمطارات وشركات السياحة. ويجب ضمان إعادتهم إلى بلادهم، ولا يجوز مطلقًا إيذاء السائحين بأي صورة وإلا كان ذلك خيانة ونقضًا للأمان وغدرًا. وكل أولئك محرم شرعًا. وما سلف موضّح مفصل في مصنفات السياسة الشرعية وأبواب السير في المصنفات الفقهية المعتمدة.

ثالثا: القول بأنّ الدخل السياحي حلال قول صحيح، لكن تنقصه الدقة، لأن الذي يعلم بذلك أهل الذكر في المجامع الفقهية المعتبرة وهم أدرى الناس بتوصيف المصادر والمتحصلات والوسائل. فإن كانت شرعية فالقول بالحل لا مراء فيه، وإن كانت غير شرعية فالقول بالحرمة لا جدال فيه. وإن وجد الأمران الشرعي وغير الشرعي وحصل الاختلاط عندنا فنُسأل عنه الجهة المنوطة بالفصل في الأحكام الشرعية المتعلقة بالمجتمع.. وهي «الأزهر»، المؤسسة الإسلامية بحكم الدستور ووفق لوائح العمل بالأزهر الشريف وهيآته. ومن المعروف أن دار الإفتاء إدارة تابعة لوزارة العدل تختص بالأحكام المتعلقة بفرد في واقعة معينة، أما ما يحتاج لإجماع أهل الحل والعقد فهذا في المؤسسة الإسلامية وهي الأزهر الشريف، وما ينبثق عنه من ندوات علمية رسمية لأهل الدراية والتخصص الدقيقين.

رابعا: القول بمشروعية استيراد الخمور وتقديمها للسائحين قول باطل تمامًا لمخالفته النصوص الشرعية جملة وتفصيلاً، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿يا أيها الَّذين آمنوا إنما الخَمرُ والميسر والأنصاب والأزلَام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنِبوه لعلكم تُفلحون. إنما يُريد الشيطَان أن يُوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخَمر والميسر ويصدَكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون. وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ (الآيات ٩٠ إلى ٩٢ من سورة المائدة)، وقوله جل شأنه: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (من الآية ٢ من سورة المائدة)، وما رواه سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ أتاه جبريل فقال له: إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها وبائعها ومبتاعها وساقيها. وأشار إلى كل معاون عليها ومساعد فيها. أخرج هذا الحديث الترمذى.

والنصوص فيما سوى ذلك كثيرة والشواهد غزيرة. وقد اتفق الفقهاء الذين يعتد بهم أن كل ما قُصد به الحرام كبيع السلاح لأهل الحرب أو لقطاع الطريق أو في الفتنة، وإجارة الدار لبيع الخمر فيها وبيع العصير وبيع العنب ممن يتخذه خمرًا فإنّ البيع باطل.. باطل.. باطل! فما بالنا في استجلاب واستيراد الخمور؟ ألم يمر على دار الإفتاء حديث «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام. فقيل يا رسول الله ﷺ،أرأيت شحوم الميتة فإنه تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا». ثم قال رسول الله ﷺ: قاتل الله اليهود. إن الله تعالى حرم شحومها فجملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه» (متفق عليه)، وخَبَرُ: «حرمت التجارة في الخمر»، وما قرره أهل الفقه الشرعى من أن الخمر لا تُستجلب ولا تُصنع بديار المسلمين ولا يُؤكل من بيعها؟ (انظر المغني لابن قدامة ج٤/١٢١، ١٢٢ طبعة النور الإسلامية).

ولا أريد الاستطراد في بيان ما تدل عليه النصوص الشرعية، وما يترتب من مفاسد أليمة وخزايا مؤسفة وانتهاكات صارخة، إن أُهملت هذه النصوص. وأحسب أن دار الإفتاء وعلى رأسها أحد العلمين لكتاب الله تعالى أعلم وأدرى!

وما قيل عن استجلاب الخمور للسائحين وبطلان ذلك شرعًا، يقال أيضًا عن تهيئة أوكار الميسر لهم في ديار المسلمين.. إلا إذا توهمت دار الإفتاء أن مصر ولاية تابعة لـ«مونت كارلو»!!

ويضاف إلى ما سبق أن دار الإفتاء تفتح بابا من الشر عظيمًا! ذلك أن من حق بعض السائحين كالبوذيين ومن على شاكلتهم طلب نصب أصنام لهم- أسوة باستجلاب الخمور وإعداد صالات القمار - ليعكفوا عليها بجوار مآذن الأزهر الشريف وعلى مقربة من دار الإفتاء !!

خامسا: القول بعدم إقحام الدين في السياحة قول يدعو للعجب والغرابة ويبعث على النكارة! ويدل على تخبط واضح آلت إليه دار الإفتاء!! وذلك لعدة أمور منها:

أ- أن دار الإفتاء أول من خالفت هذا! بكَمٍّ وزخم التصريحات!!

ب- أن السياحة لم تبلغ حد حظر الاقتراب منها كالبحث في الذات الإلهية والاستقصاء عن عصمة الرسل- صلوات الله وسلامه عليهم، وما شابه ذلك من الأمور التي يحظر البحث فيها، اللهم إلا إذا كانت الألوان ومرائي الأشياء استوت، فأمسى الخشب والماء سواء! وإلا إذا أرادت دار الإفتاء تحجيم الإسلام وحصره وقصره في جزئيات من أمور الحياة، لا- كما هو الواقع والحق- كل الحياة!

ج- أن دار الإفتاء أحلت لنفسها إقحام الدين في السياحة، وبئس ما صنعت، فقد أحلّت وجوّزت ورخصت لما لم يسبق وما لم يعهد!!

أقول هذا وأخشى ما أخشاه على هذا الدار التي كانت فترات من الدهر عونًا للحق وردءًا للإسلام.. أن تفقد مصداقيتها بين المسلمين داخليا وخارجيا، فلا يُعبأ لدى السواد الأعظم بقولها ولا يُلتفت لقولها، وتصبح أثرًا لا يزار في «حديقة الخالدين»! ولن تنفعها دنيا ولا أخرى «الفتاوى السياحية»!

والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * * *

مع الشكر الجزيل لمجلة «التوحيد» المصرية،(السنة الحادية والعشرون، العدد السابع ص ٥٧ إلى ٦١).. فقد أوضحت ما يقوم به بعض كبار رجال الدين الموظفين لخدمة رجال السياسة والاقتصاد.

«التقوى»

إياك والغضب

روي أن إبليس قال: مهما أعجزنى ابن آدم فلن يعجزني إذا غضب، لأنه ينقاد لي فيما أبتغيه، ويعمل بما أريده وأرتضيه.

ALTAQWA

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

VOLUME No 6, ISSUE No 11 , March 1994

شروط المبايعة

للانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية

معربةً من كلام الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام)

أن يتعهد كل مبايع من صميم فؤاده على ما يلي:

١. أن يجتنب الشرك حتى الممات.

٢. ألا يقرب الزنى، ويجتنب قول الزور، وخيانة الأعين، ويحترز من جميع أنواع الفسق والفجور والظلم والخيانة، ويتنكب عن طريق البغي والفساد، ولا يدَعَ الثوائرَ النفسانيةَ تتغلب عليه مهما كان الداعي إليها قويًا وهامًا.

٣. أن يواظب على الصلوات الخمس بالالتزام.. تبعًا لأوامر الله تعالى وتعاليم رسوله الكريم ﷺ.. ويداوم جهد المستطاع على إقامة صلاة التهجد، والصلاة على النبي ﷺ، وطلب العفو من ربه على ذنوبه والاستغفار، ويذكر كل يوم نعم الله ومننه بخلوص قلبه، ثم يشكره عليها، ويتخذ من حمده والثناء عليه وردًا له.

٤. ألا يؤذي أحدًا من خلق الله عمومًا، والمسلمين خصوصا.. بثوائره النفسية، لا بيده، ولا بلسانه، ولا بطريق آخر.

٥. أن يكون مخلصا لله تعالى وراضيا بقضا ه في جميع الأحوال.. حالة الترح والفرح، والعسر واليسر، والضنك والنعم.. ويكون مستعدا لقبول كل ذلة وهوان، وتحمل كل مشقة وعناء في سبيله؛ ولا يُعرض عنه عند حلول مصيبة أو نزول بلية.. بل يمشي إليه قُدُما.

٦. أن ينتهي عن اتباع الرسوم والعادات والأهواء والأماني الكاذبة؛ ويقبلَ حكومة القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة، ويتخذ قول الله وقول الرسول ﷺ دستورًا لعمله في جميع مناهج حياته.

٧. أنه يطلِّق الكِبْرَ والزَّهو طلاقا باتًّا، ويقضي أيام حياته بالتواضع والخضوع، ويقابل الناس بالبشر، ويعاملهم بالحلم والخلق الحسن.

٨. أن يكون الدينُ وعزُّه، ومواساةُ الإسلام أعزَّ عنده من نفسه وماله وأولاده.. ومن كل ما هو عزيز لديه.

٩. أن يواسي جميعَ خلق الله تعالى، ويعطفَ عليهم ابتغاءً لمرضاته، وينفق.. بقدر الإمكان.. كلَّ ما رزقه الله من القوة والنعم في خير أبناء جنسه ونفعهم.

١٠. أن يعقد مع هذا العبد (الإمام المهدي والمسيح الموعود) عهدَ الأُخوّة.. خالصًا لوجه الله تعالى.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكثه حتى الممات. ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدلها العلاقات الدنيوية.. سواء كانت علاقاتِ قرابة أو صداقة أو عمل.

(إعلان تكميل التبليغ في ١٢ يناير ١٨٨٩).